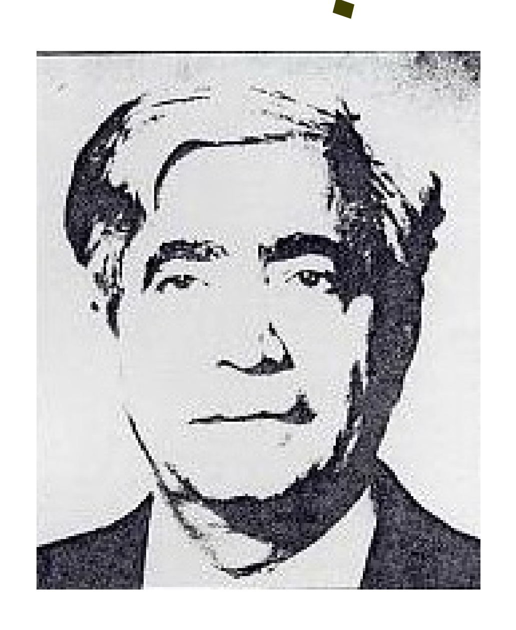
مناضل من عُمان.. محمد أمين عبدالله



(١٩١٥-١٩٨٢)

حسين حيدر درويش

كتاب "مناضل من عمان ... محمد أمين عبدالله (1915-1982)"

بقلم: حسين حيدر درويش

الطبعة الثانية - 1990

أقدم هذا الكتاب إلى الأخوة في الحارة العمانية لبيان مدى تظافر العمانيين بمختلف شرائحهم و انتماءاتهم الاجتماعية و السياسية و القبلية و المذهبية و الطائفية. هذا الكتاب الذي ألفه رجل الأعمال العماني الذي كان مقيما في مدينة دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة و شقيق عدة رجال أعمال من عائلة "درويش" أو كما تعرف "الزعابي" في سلطنة عمان و دولة الإمارات العربية المتحدة و مملكة البحرين و هي عائلة عربية معروفة بالتجارة.

مؤلف الكتاب هو المرحوم حسين حيدر درويش الزعابي أحد رواد الحركة اليسارية في منطقة الخليج العربي - كما سيتبين لنا من خلال صفحات الكتاب - إنتقل إلى رحمة الله في منتصف التسعينيات من القرن العشرين ... ألف الكتاب تخليدا لذكرى صديقه المرحوم محمد أمين بن عبدالله البستكي رائد الترجمة في منطقة الخليج العربي ... إلا أن الكتاب البالغة عدد صفحاته 117 صفحة من الحجم الصغير أتى - حسب اطلاعي - سردا توثيقيا لسيرة المؤلف و معايشته للأحداث و التطورات في بلده "عمان".

أتركم بين صفحات الكتاب الذي إشتريت منه عدة نسخة من مكتبة بسيطة في الQueen's Way بلندن استعاره مني عدد من الأصدقاء الذين هم بحسبة الأعمام (أغلبهم انتقلوا إلى رحمة الله) منهم من تم ذكر إسمائهم في ثنايا الكتاب و لم تبق لدي إلا نسخة مصورة منه.

الاهداء

إلى العظماء المجهولين من أبناء هذه الأمة الذين يولدون في الظلام و لكنهم يتطلعون إلى النور و يتجهون نحو الشروق و ينشدون الشفق دون ملل أو كلل حتى تغمض أعينهم في الظلام ...

هذه الصفحات من حياة المناضل العماني محمد أمين عبدالله (1915-1982). كتبها صديقه و رفيق عمره حسين حيدر درويش. و هي صفحات موثقة لا تتحدث عن حياة فرد بمقدار ما تتحدث عن نضال شعب. و هي لا تحكي عن عمان بقدر ما تحكي عن العرب في أوطانهم و في منافيهم. في مرحلة ، كما يقول المؤلف ، لم يعش مثلها جيل من قبل. فقد شهدت ثورة عبدالناصر في مصر ، و مصدق في إيران ، و ثورة تموز - يوليو في العراق ، و من قبلها الثورة الهندية ، الصينية ، الكوبية ، و الفيتنامية ، و وصولا إلى الثورة الاسلامية في إيران.

كيف انعكست هذه الأحداث على القطر العماني الذي كان يقتصر التعليم فيه على مدرسة وحيدة هي "المدرسة السعيدية" ، و أية علاقات كانت تربط شعب الخليج بعضه ببعض في مطلع الخمسنات ، و أية حياة كانت تنمو في هذا الخليج العربي و تزدهر مروية بالعرق و بالدماء ، من أجل المستقبل الآتي ؟ أجمل ما في الاجابة أنها دعوة لمواجهة التاريخ الرسمي بتاريخ الشعوب و أجمل ما في الاجابة أنها تعتمد في مواجهة ... النسيان. "المحرر" (تقديم نشر على الصفحة 20 من مجلة "الأزمنة العربية" ، الصادرة يوم 31 مايو 1987 -العدد164 ،15).

مقدمة الكتاب

ليست هذه محاولة في كتابة تاريخ حياة الزميل محمد أمين عبدالله ، إذ أن كتابة مثل ذلك التاريخ يتطلب معرفة – بل و دراسة – عن كل فترة من فترات حياة الشخص منذ ولادته حتى وفاته ، و بما أنه بالرغم من علاقتي الوطيدة بالاستاذ محمد أمين عبدالله التي استغرقت نحو إثنين و ثلاثين عاما من دون أن نفترق خلالها فكريا ، فإنني لم أشأ أن أعرف منه عن طفولته و نشأته و أسرته ... إلخ. لقد اكتفى كل واحد منا على حصر أحاديثه و رسائله للآخر حول المبادئ العقائدية ، و التيارات السياسية ، و تقلبات الأنظمة ، و تغيرات الأوضاع و الأفراد ... إلخ.

إن فترة صداقتنا منذ عام 1950 و حتى و فاته عام 1982 ، شهدت تطورات عالمية قد لا أغالي إذا قلت بأنه لم يشهد أي جيل قبلنا من أجيال آبائنا و أجدادنا ما عاصره أبناء جيلنا من أحداث تاريخية ، انعكست نتائجها على كل بقعة من بقاع الكرة الأرضية ، و خلقت أعاصيرها أثرا في نفوس أبناء هذا الجيل ، و علي سبيل المثال – لا الحصر – الثورة الهندية ، الثورة الصينية ، الثورة الكوبية ، الثورة الفيتنامية ... إلخ.

و ناهيك عن الأحداث التي عشنا بمقربة منها ، و على سبيل المثال أيضا – دون الحصر – ثورة جمال عبدالناصر في مصر عام 1952 م ، و ثورة مصدق في إيران عام 1953 م ، و الثورة العراقية عام 1958 م ، و نواة الوحدة العربية بين مصر و سوريا عام 1958 م ، و الانفصال عام 1961 م ، و أخيرا و ليس آخرا ، الثورة الإيرانية عام 1979 م و ما أحدثته من زلزال أحدث دويا في كل شبر من أقطار الشرق الأوسط.

لقد عاصر محمد أمين أحداث وطنه و تفاعل معها خلال ثورة إمامة عمان و ثورة ظفار ، و قد ساهم مساهمة فعالة في القضية العمانية ، إذ أنه عرض القضية العمانية على مجلس الأمن و في المحافل الدولية خلال تمثيله لمكتب إمامة عمان في القاهرة ، و اجتمع بالكثير من قادة الدول المتحررة ، و شرح لهم الوضع السياسي في عمان ، و كان موضع إعجاب و تقدير من جميع الشخصيات التي اجتمع بها. و لا شك أن أرشيف مجلس الأمن ، و المحافل الدولية الأخرى ، تشهد له من خلال خطاباته عن دوره الفعال في فضح الاستعمار البريطاني في عمان ، و كذلك إذاعة صوت العرب من القاهرة تشهد له باعتزاز على خطاباته الثورية خلال عام 1956 و حتى 1967 م.

فلا عجب ، إذن ، إذا وجدنا الأوساط البريطانية ، ليس في عمان فحسب ، بل و في معظم دول الخليج تلاحقه و تقيم حوله الحواجز كي لا تطأ قدماه أراضيها ، و على الرغم من أن الكثير من زملائه الذين كانوا يحملون – مثله حينذاك – جوازات سفر صادرة من مكتب إمامة عمان كان يسمح لهم بالتنقل في معظم دول الخليج ، فقد حرم محمد أمين حتى من هذا الحق البسيط.

عندما أزيح السلطان سعيد بن تيمور في 23 يوليو (تموز) عام 1979 م ، عاد إلى عمان الكثير من زملاء محمد أمين ، و من بينهم أولئك الذين حاربوا سعيد بن تيمور ، فمنهم من أسندت إليه وظائف حكومية و منهم من سمح له بالعودة بقصد المحاصرة و المراقبة ، و بقى أولئك الذين كان الإنجليز يخشونهم أمثال محمد أمين عبدالله و بعض الوطنيين الذين مكثوا لفترة طويلة خارج وطنهم حتى عاد البعض منهم على مدى الزمن الطويل و لم يعد البعض الأخر حتى الآن (*).

و من المضحك المبكي في الوقت نفسه ، أن معظم زملاء محمد أمين عبدالله ، الذين عمل معهم في مكاتب إمامة عمان ، و الذين أسندت إليهم وظائف حكومية عالية عند عودتهم لعمان ، قد تنكروا له عندما عاد إلى وطنه ، و تجنبوا الاختلاط به ، أو حتى التحدث إليه.

و إذا نسيت ، فلن أنسى ذلك الشخص الذي بعث له و لي بقصاصة ورق تحمل لنا تحياته و كنا – محمد أمين و أنا – نجلس على مقربة منه في مجلس عام ، و قد كان في استطاعته أن يعبر لنا بتلك التحية شفويا أو حتى بايماءة خاطفة.

لقد خلف الأستاذ محمد أمين عبدالله وراءه تراثا تفخر به عمان و جميع المكتبات العربية ، و من كتبه القيمة التي قام بترجمتها من الإنجليزية إلى العربية:

1- قضية عمان في الأمم المتحدة ، تقرير اللجنة الخماسية لتقصي الحقائق في عمان 1964.
2- حلاب العصابات في قبرص ، تأليف: دوروس ألاستوس.
3- فلسفة نهرو السياسية.
4- الحدود الشرقية للجزيرة العربية. تأليف كيلي.
5- عمان منذ 1856 مسيرا و مصيرا ، تأليف روبرت جيران لاندن.
6- الخليج: بلدانه و قبائله ، تأليف: س . ب ميلز.
7- تاريخ عمان ، تأليف: وندل فيليبس.

8- رحلة طبيب إلى عمان ، تأليف: وندل فيليبس.

إنني إذ أسطر هنا مناقب الزميل محمد أمين عبدالله ، فإنني لا أفعل هذا بدافع الصداقة الوطيدة التي ربطتنا فحسب ، إنما لأسجل أيضا صفحة من صفحات تاريخ مواطن يجب أن يعتز به وطني عمان. و بهذا الدافع الشخصي و الوطني معا قررت الكتابة عن الأستاذ محمد أمين عبدالله ، و كم تمنيت لو مضيت قبله كي يسقط من على كاهلي هذا الواجب ، و لكن ليس لي خيار فيما اختاره القدر ، و لي عزاء في رثاء أمير الشعراء شوقي لحافظ إبراهيم:

قد كنت أوثر أن تقول رثائي *** يا منصف الموتى من الأحياء

لكن سبقت ، و كل طول سلامة *** قدر و كل منية بقضاء

(*) و قد أصدرت وزارة الخارجية العمانية نداء بهذا الخصوص نشرته صحيفة "عمان أبزيرفر" الصادرة في مسقط بتاريخ 19 / 4 / 1986.

مقدمة الطبعة الثانية

عندما نزلت إلى الأسواق الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، الذي طبع في قبرص في عام 1987 ، نفذت كلها خلال بضعة أسابيع ، مما حدى بالناشر إلى الاعتقاد بأن مصدرا سعى إلى طمس الحقائق المنشورة فيه فإشترى كلما وقعت عليه يداه من هذا الكتاب و احراقه كي لا يصل إلى القاريء. و سواء حصل ذلك أم لم يحصل فإن مجلة "الأزمنة العربية" أفشلت تلك المحاولة بنشرها عدة فصول من الكتاب في أعدادها الصادرة في قبرص إبتداء من عدد رقم: 164 ، 15 في 31 مايو 1987.

و لكي اتجنب تلك المحاولة اللا أخلاقية – إن صحت تأويلات ناشر الطبعة الأولى – فقد قررت أن أطبع هذه المرة من الكتاب ضعفين مما طبع سابقا ، و ان أختار لتوزيعه أكبر عدد ممكن من المكاتب ، و في أقطار بعيدة مختلفة ، كي أضمن وصوله إلى أكبر عدد ممكن من القراء.

و كأي كتاب يطل على الوجود ، يتلقى كاتبه الكثير من الانتقادات و التعليقات من بعض القراء أو معظمهم. و هذه ظاهرة صحية يستفيد منها المؤلف بقدر ما يستفيد منها القاريء ، إن لم يكن أكثر. و انما الذي حز في نفسي هو أن بعضا من ذوي الذين وردت أسماؤهم في الرسائل المنشورة بالكتاب شنوا علي حربا شعواء ، لا لأنني كتبت عنهم و انما لمجرد أن وردت أسماء ذويهم في رسائل وصلتني ، تطرقت إلى نشاطاتهم التي اعتبرها أولئك الأشخاص الإساءة إليهم. و قد ذهب بعض أولئك الأشخاص من المعترضين – إلى حد المطالبة من الأوساط الحكومية بالنيل بي ، و الاقتصاص مني على ما نشر بهذا الكتاب ن دون جرم أو ذنب اقترفته.

أرجو أن يثق القراء جميعا بأنني لا أقصد الإساءة إلى أي أحد من وراء كتاباتي كلها ، و أن كل ما ذكرته في هذا الكتاب و نشرته من مستندات ليس إلا ، و لعلني تجرأت مرة واحدة فقط في كتابي هذا عندما عبرت عن رأيي الشخصي حول رجل لا أكن له لغيره من قادة العرب القدر الذي أكنه إليه من الاحترام و التقدير ، و هو جمال عبدالناصر ، حيث قلت عنه في الفصل السادس "على ضفاف النيل" كالآتي:

"إن من أخطاء جمال عبدالناصر الجسيمة هي عدم تطبيقه النهج الديمقراطي خلال الثمانية عشر عاما من حكمه ...".

و قد اقترح علي الكثير ممن قرأ الطبعة الأولى من كتابي هذا بأن أحذف كلمتي "من أخطاء" اللتين توحيان – طبعا – بكثير من الأخطاء، و أبدلهما بكلمة "خطأ" فأبيت. و اقترح الآخرون بأن أحذف من العبارة كلمة "الجسيمة" ، فأبيت أيضا ...

فما دمت أبيت حذف كلمة أو كلمتين تعبران عن رأيي الشخصي ، فلم إذا الإعتراض من أولئك الذين لم اتطرق إليهم أو إلى ذويهم ، و انما مجرد ورود ذكرهم في رسائل بعثها إلي آخرون ، اعتبرتها مستندات تاريخية ، لا يجوز لي طمسها أو اخفائها.

أما تهجمي على الإستعمار الأمريكي و البريطاني في هذا الكتاب ، و الكشف عن مخططاتهم الاستعمارية في المنطقة ، فإنني أصر على الكتابة حولها و فضحها ، ليس في هذا الكتاب فحسب ، بل و في كل كتاباتي و أقوالي – و بدون هوادة – حتى آخر رمق من حياتي ، أو حتى يزهق الله الباطل و يأتي بالحق ، انه سميع مجيب.

أنني لا أبتغي من تأليف كتابي هذا ، و لا مما يسطره قلمي سوى وضع الحقائق أمام القاريء ، و للأجيال القادمة ، بصدق و إيمان ، دون تحيز أو محاباة. و قد أدركت منذ الوهلة الأولى بأن كتاباتي هذه التي بدأ قلمي يخطها منذ أكثر من ثلاثة عقود مضت من عمري سوف تجلب لي المشاكل و تلحق الأضرار بمصالحي الشخصية ، و لكنني وجدت تلك التضحيات تهون أمام الهدف المنشود في كشف الحقائق و إعلاء كلمة الحق. و ما هذه التضحية البسيطة – إن جاز لي اعتبارها تضحية – سوى ذرة مما قدمه الأحرار و يقدمونه كل يوم ، و الذين تزخر بهم السجون العربية ، و قد قضى الكثيرون نحبهم ، بقى منهم الكثير من ينتظر ، و كان الله في عونهم جميعا ....

المؤلف

الفصل الأول ... اللقاء الأول

كان اجتماعي الأول بالأخ محمد أمين عبدالله عام 1950 ، عندما ذهبت إلى كراتشي و التحقت بجامعتها. و كان محمد أمين قد سبقني إليها ، فقد كان يعمل ، حينذاك ، موظفا في وزارة الاعلام الباكستانية بكراتشي. و كانت كراتشي حينذاك تحتضن بعض الوطنيين من السودان و اليمن و عمان و إيران الذين لجأوا أليها هربا من تعسف و اضطهاد حكوماتهم. كان في مقدمة هذه المجموعة الشاعر الوطني من اليمن الأستاذ محمد محمود الزبيري الذي اغتيل يوم 30 آذار (مارس) 1965 ، بعد استقلال اليمن و عودته إلى وطنه.

كنا نجتمع كل أمسية في إحدى المقاهي التي تقع بقلب مدينة كراتشي و تدعى "شيزان" و كانت لنا طاولة خاصة فيها ، يتجه إليها مباشرة كل فرد منا حالما تطأ قدماه عتبة المقهى. و كانت أحاديثنا تدور حول مواضيع الساعة و عن كل ما يذاع أو ينشر عن منطقتنا ، و عن المطامع الاستعمارية و الأخطار التي تحاك ضدها. و كان هذا هو حال معظم الشباب في تلك الفترة من العمر يتطلع إلى مستقبل أفضل لوطنه ، و يحمل آمالا جسيمة لا حدود لها من الطموحات و الأمنيات الوطنية.

كان الأستاذ محمد أمين أغزرنا ثقافة و أوسعنا معرفة و أعمقنا فكرا ، و كان الجميع من المثقفين و السياسيين الذين تجمعهم تلك الطاولة كل يوم يسارعون بافساح مكان له. و بحكم عمله في وزارة الاعلام الباكستانية ، فقد كان مطلعا على آخر الأنباء و ملما بكل ما يحدث في العالم. و بالإضافة إلى عمله فقد كان مولعا بالمطالعة و لعل هذه الفترة من حياته التي قضاها في باكستان اتسمت بمطالعاته للكتب الأجنبية و أكسبته ثقافة عالمية. و لا بد لي أن أذكر هنا بأن باكستان ، في تلك الفترة ، كانت تتمتع بحرية الكتابة و حرية الفكر ، فقد كانت جميع الكتب السياسية و العقائدية – بمختلف اتجاهاتها – متوفرة في المكتبات. و كانت مؤلفات ماكسيم جوركي و كارل ماركس المطبوعة في الاتحاد السوفياتي باللغة الإنجليزية تباع في المكتبات بل و في الشوارع ، شأنها في ذلك شأن الكتب و المؤلفات الأمريكية. كان الوضع يبدو و كأنه منافسة مكشوفة لترويج الأفكار و المبادئ بأبخس الأثمان المادية.

و لاعجب في ذلك ، فقد كان هدف الدولتين العظمتين في تلك الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية نشر مبادئهما ، لا سيما في دول العالم الثالث.

لقد انعكست هذه المؤلفات و القراءات على أفكار جميع المثقفين ، و لا غرو في ذلك ، فكما إن الانغلاق الثقافي يسبب الركود و الجمود الفكري ، فإن الانفتاح الثقافي يقود إلى حب المزيد من المعرفة ، و إلى "تنشيط" الفكر لتقبل أو رفض النظريات و المبادئ المطروحة. و كان طلاب الجامعات و أساتذتها يؤمنون بحرية الفكر ، و كانت الأفكار و المبادئ تطرح بحرية في الجامعات للدراسة و النقاش. و بما إنني كنت أدرس الاقتصاد السياسي ، فقد وجدت محمد أمين ملما بهذه المادة و لا يقل إلمامه بها عن أساتذة الجامعة ، فكثيرا ما كنت أستعين به في شرح بعض النظريات الاقتصادية بالرغم من أنه ليس ممن درس في مدرسة ثانوية أو حتى ابتدائية ، فقد تتلمذ عندما كان صبيا بمسقط على يد مدرس يدعى "أبو دينه" ، الذي بواسطته حفظ معظم أبناء العاصمة من جيله القرآن الكريم و اكتسبوا مبادئ اللغة العربية. و بعد تلك الدراسة الأولية ، اعتمد على نفسه فكانت ثقافته ذاتية ، خولته أن يشق طريقه في الحياة و أن ينال وظيفة في المحكمة العدلية بمسقط ثم استقال منها و توظف في القنصلية البريطانية بمسقط خلال سنوات الحرب العالمية الثانية حتى عام 1947 ، عندما وقعت مشادة بينه و بين القنصل البريطاني آنذاك "هيكمبوتم" اضطر على أثرها للهرب من مسقط و اللجوء إلى كراتشي خشية بطش القنصل البريطاني به.

كانت باكستان تزخر بالمفكرين الذين نزحوا إليها و بالمؤلفات التي تباع بمكاتبها ، بعضها من مخلفات عهد الاحتلال البريطاني ، و البعض الآخر مما كانت تستورده من مختلف أنحاء العالم الشرقي و الغربي. و في خضم هذه النظريات العقائدية المتضاربة ، كانت الدولة تحاول شرح المعتقدات الاسلامية و نشر الوعي الديني ، باعتبار أن باكستان تأسست على أسس دينية ، و ما انفصالها عن شبه القارة الهندية إلا لأن السكان المسلمين أبوا إلا أن تكون لهم دولة منفصلة يمارسون فيها معتقداتهم الدينية بحرية تامة. و من هذا المنطلق برزت فكرة الانفصال التي قادها محمد علي جناح الذي كان قبل الاستقلال عضوا بارزا في حزب المؤتمر الذي تزعمه المهاتما غاندي.

لا شك أن الاستعمار البريطاني قد ساهم في تقسيم الهند بتلك الطريقة البشعة ، حيث وزع الأراضي على المسلمين دون ربط أو اتصال بين منطقة و أخرى و أطلق على قسم منها باكستان الغربية و الأخرى باكستان الشرقية ، و تبعد الواحدة عن الأخرى آلاف الكيلومترات. و قد انفصلت باكستان الشرقية يوم 16-12-1971 ، و كونت دولتها المستقلة التي تدعى بنجلاديش. و لم يكتف الاستعمار البريطاني بهذا التقسيم العشوائي ، بل غرس الضغينة و الكراهية في نفوس الشعب الواحد ، و أوقد نار الفتنة بينها ، و أجبر سكان شبه القارة الهندية من هندوس و مسلمين على الهجرة الجماعية ، و راح يتلذذ في مشاهدة تلك الجموع البشرية كأمواج البحر تلتطم بعضها ببعض و الدماء تسيل أنهارا ، و ذهب ضحيتها مئات الألوف من البشر. و لولا حنكة المهاتما غاندي لما توقفت تلك المآسي الدموية ، و لكنه لجأ إلى إخمادها بأن أعلن الصوم و الاضراب عن الطعام حتى توقفت تلك الحرب الأهلية ، و بذلك فوت الفرصة على المستعمر من الانتقام النهائي من شعب ناضل ضده و عقد العزم على طرده و تحرير أراضيه.

إن الاستعمار البريطاني مولع بتطبيق هذه السياسة التعسفية في جميع الأقطار التي استعمرها. فهو لا يجلو عنها دون لأن يخلف و راءه مشكلة سكانية بحيث يصبح من المتعذر حلها و ذلك إما أن يشعل نار الفتنة بين شعوبها كي تظل ملتهبة أعواما طويلة ، و إما أن يلجأ إلى تجزئة القطر الواحد متخذا من الأديان أو القبلية أو القومية مطية لتحقيق أهدافه الخسيسة ، فهذه فلسطين و وعد بلفور القائم على التفرقة الدينية خير شاهد على دناءته. و هذه قبرص و تجزئة شعبها على أسس قومية منحدرة من أصل تركي و يوناني مثال آخر على مؤامراته اللا إنسانية. و هذه دول الخليج العربية و تجزئتها على أسس قبلية ، حتى بلغ استهتاره بشعوبها بأن عمد إلى تجزئة أراضي ساحلية محدودة المساحة إلى سبع إمارات صغيرة يتعذر على الجغرافيين تحديدها على الخارطة. و لم يكتف بهذا المقدار من التقسيم ، بل تمادى في تمزيق و تجزئة كل إمارة منها إلى مناطق و قرى متناثرة منفصلة لا تربط بعضها ببعض و لا يتجاوز سكان بعضها ألف شخص. و لا زالت مشكلة الحدود في الدول العربية التي كانت تستعمرها بريطانيا قائمة حتى الآن ، و هذا مما يضمن لبريطانيا السيطرة عليها و إثارة الحرب فيها متى شاءت.

و كما هو الحال في الدول العربية التي كانت تستعمرها بريطانيا ، فإن مشاكل الحدود بين الهند و باكستان على مقاطعة كشمير ، لا زالت تخفي الألغام التي غرستها بريطانيا و تتفجر بين الحين و الآخر.

كانت آثار الحرب الأهلية لا زالت قائمة في تلك الفترة من وجودنا بكراتشي ، و كانت جروح الشعب لم تلتئم بعد حتى ذلك الوقت ، و كانت الحكومة الباكستانية تحاول جادة إقناع شعبها بأن الغاية من كل تلك التضحيات المريرة هي

الحفاظ على الدين الاسلامي ، و إقامة دولة تكفل لهم ممارسة دينهم بحرية تامة. و بالرغم من أن الحكومة الباكستانية قد نجحت في إثارة الحماس الديني في صفوف الشعب المسلم ، إلا أن غالبية الشعب ظل حتى تلك السنوات مفتقرا إلى معرفة العقائد الدينية بمفهومها الصحيح. و لعل هذه الثغرات الظاهرة هي التي شجعت المستفيدين و الانتهازيين من رجال الدين و السياسة على استغلال الحماس الديني و الرقي على أكتاف الشعب ليحكموه باسم الدين و الاسلام. و بما أن هذه الفئة المستفيدة كانت بحاجة إلى أقلام تناصرها ، فقد كان من الممكن أن يستفيد الزميل محمد أمين من تلك الظروف التي كانت تحيط به سيما و هو – بحكم وظيفته – أقرب إلى المسؤولين في وزارة الاعلام من غيره ، لكن محمد أمين أبى أن ينضم إلى ذوي الأقلام المأجورة و اشترط على وزارة الاعلام الباكستانية بأن تحصر مجال عمله في ترجمة الكتب العربية إلى اللغة الإنجليزية ، فكان له ما أراد و بذلك تجنب السير في ركاب الانتهازيين.

الفصل الثاني ... "الاتحاد العماني"

كانت اجتماعاتنا اليومية في مقهى "شيزان" بمدينة كراتشي بمثابة مأتم حزن ، إذ كان كل فرد منا يسرد مآسي وطنه. هذا عن الوضع في السودان ، و ذاك عن إيران ، و الآخر عن اليمن .... إلخ.

و كان من الطبيعي أن نتطرق إلى أوضاع وطننا عمان من خلال تلك الاجتماعات المتتالية ، و لم لا ؟ و هي تعاني من الكوارث و الويلات أضعاف ما تعانيه أوطان تلك الجماعة النازحة.

عندما كنا نتحدث عن عمان كان كل منا يشعر و كأنه في نفق مظلم ، لا أول له و لا آخر ، تائه في أوساطه ، يكاد يختنق في ظلماته ، كنا نرى في ذلك النفق أشباح الجهل و الفقر و المرض و العبودية و البطش و التعسف و الاستبداد و السجون و الاضطهاد و الموت ... إلخ. كل هذا في أبشع صورة.

كان مجرد التطرق إلى الوضع الراهن في عمان يبعث الحزن و الأسى في نفوسنا ، لذا دأبنا إلى تجنبه و عدم التحدث عنه ، ثم بدأنا بعد ذلك في تقبله على مضض ، بعد أن استطعنا أن نقنع أنفسنا بأن ذلك واقعنا و لا مناص من الاعتراف به ، و أخيرا – و بعد أيام طويلة – برز السؤال الشائك: ماذا يجب أن نعمل ؟ و ما هو مطلوب منا ؟

بعد مداولات طويلة بيننا نحن الثلاثة – محمد أمين عبدالله و أحمد محمد الجمالي و أنا – استغرقت عدة أشهر تبلورت خلالها هذه الأفكار و تمخضت عن اتخاذ قرار في أوائل 1952 ، بتنظيم رابطة تجمع العمانيين ، نطلق عليها اسم "الاتحاد العماني" و قد حددنا لها هدفين في بادئ الأمر:

أولا: نشر الوعي الوطني بين العمانيين ، سيما النازحين عن وطنهم في طلب المعيشة في مختلف أقطار الخليج و الذين يبلغ تعدادهم عشرات الألوف.

ثانيا: فسح المجال للطلاب الذين أكملوا دراساتهم في المدرسة الابتدائية الوحيدة في القطر العماني كله ، و التي تدعى المدرسة السعيدية بمسقط ، و ترحيلهم إلى خارج عمان كي يواصلوا الدراسة في المدارس الثانوية غير المتوفرة في القطر كله.

قد يبدو اليوم أن تحقيق هذين الهدفين سهل و يسير ، و لكن في تلك الفترة الحالكة كان مجرد التحدث عنه يبدو ضربا من الخيال. كيف الوصول إلى تلك الحشود من العمانيين المنتشرين في مختلف أقطار الخليج ؟ و كيف يمكن التحدث إليهم عن "الوطنية" و هم يجهلونها ؟ و كيف نستطيع أن نزيح عن أنفسهم آثار الخوف و الرعب التي غرسها فيهم النظام منذ نشأتهم ؟

اما بالنسبة للطلاب فقد كان الأمر أدهى و أمر. ان أول عائق يقف أمامنا هو ترحيل هؤلاء الطلاب من مسقط ، و قد حددت الحكومة الإقامة الجبرية على كل مواطن عماني و حرمته من الحصول على جواز سفر إلا بأمر من السلطان سعيد بن تيمور ، ثم يأتي العائق المادي و نفقة ترحيل هؤلاء الطلاب من عمان إلى الجهات المقصودة ، أما العائق الأكبر و الأصعب فهو الاتصال بالحكومات العربية التي يمكننا أن نستدر عطفها لتقبل هؤلاء الطلاب للدراسة في معاهدها على نفقتها الخاصة.

لم يكن ، حينذاك ، ممكنا للزميلين محمد أمين ، و أحمد الجمالي ، زيارة عمان خشية من البطش بهما. كما أنه لم يكن في استطاعتهما الانتقال بين أقطار الخليج لعدم حيازتهما جوازات سفر صالحة لزيارة الأقطار التي تتطلب مهمتنا زيارتها. لذلك فقد ألقيت هذه المهمة الشاقة على عاتقي ، و كان لا بد لي من تقبلها بالرغم من انشغالي بالدراسة الجامعية.

و قبل أن أبدأ في الاتصال بأولئك الطلاب في عمان وجدت من الأفضل – بل ومن الطبيعي – أن أضمن لهم موافقة الحكومات التي تقبلهم في معاهدها.

فطرقت أبوابا كثيرة في أقطار عربية عديدة ، و قد رفضت معظم تلك الأقطار قبولهم ، و اشترط البعض الآخر تقديم طلب رسمي من حكومة عمان بشأنهم ، لم أجد سوى مديرية المعارف الكويت التي تفهمت أوضاعنا المأساوية و تعاطفت معنا ، و قبلت ترشيحي للطلاب و اعتبرته بمثابة طلب رسمي دون الإصرار على الموافقة من الحكومة العمانية.

و قد بدا الاتصال بيني و بين مديرية معارف الكويت بهذا الخصوص منذ عام 1952 ، و بذلك فتحت أمام الطلاب العمانيين آفاقا لم نحلم بها لينهلوا من بحار العلم و المعرفة ما حرمتهم عنه حكومتهم ، و قد فتحت المعاهد الكويتية أبوابها بسخاء لتقبل الوافدين من الطلاب العمانيين ليدرسوا على نفقتها ، و قد أزالت من طريقهم العوائق التي كانت تعترضهم و هذه صورة خطاب من ضمن خطابات و ردتني بهذا الخصوص:

"معارف الكويت
مكتب مدير المعارف

رقم (   ) التاريخ 12-11-1957

السيد المحترم حسين حيدر درويش
البحرين ، ص . ب : 272

تحية و سلاما ،

نرجو لكم أسعد الأوقات و يسرنا أن نؤكد لكم بأن المعارف قد وافقت على قبول الطلبة الآتية أسماؤهم :

1- جابر مرهون

2- هرون سليمان محمد
3- إبراهيم عبدالله سبيل

ضمن البعثات العربية بالكويت ، و قد تم بالفعل إلحاق الطالب جابر مرهون بالقسم الداخلي و ذلك لوجوده بالكويت أما الطالبان هرون و أبراهيم فقد أرسلت لهم مأذونية دخول الكويت إلى القنصلية البريطانية بالبحرين.

لهذا يرجى عمل ما يلزم بشأن سفرهما إلى الكويت و إفادتنا عن ذلك.

مدير المعارف

نسخة لمكتب البعثات
نسخة لنادي الخريجين"

لقد بلغ اهتمام مديرية المعارف الكويتية بالأمر إلى حد لجوئها في كثير الأحيان باشعاري برقيا عن موافقتها بقبول الطلاب العمانيين في معاهدها كلما قدمت لها طلبا بأسماء الطلاب الجدد ، و هذه صورة من برقية تسلمتها بهذا الخصوص:

"(برقية بتاريخ 1955/11/5)
الكويت

حسين حيدر درويش - شارع التجار البحرين ،

نفيدكم بموافقة المجلس على قبول الطلبة الخمسة ... اتصلوا بالقنصلية البريطانية لاستلام الفيزا.

مدير المعارف – الكويت"

و هكذا توافد الطلاب أفرادا و جماعات للالتحاق بمعاهد الكويت حتى بلغ تعدادهم عام 1958 تسعا و ثلاثين طالبا بموجب الكشف الذي بعثته مديرية معارف الكويت ، و هم:

الرقم	اسم الطالب	السنة الدراسية	مكان الإقامة
1-	عبدالله سليمان محمد	رابعة علمي	مسقط
2-	سالم حسن مكي	رابعة علني	مسقط
3-	محمد ماهر سالم	رابعة أدبي	مسقط
4-	سالم عبدالله المحمود	ثالثة علمي	الشارقة
5-	سالم حميد الغساني	ثالثة علمي	مسقط
6-	محمود عبدالنبي مكي	ثالثة علمي	مسقط
7-	محمد عيسى العلي	ثالثة علمي	رأس الخيمة
8-	محمود سليمان محمد	ثالثة أدبي	مسقط
9-	نوري أحمد	ثالثة أدبي	مسقط
10-	عبدالعزيز حيدر درويش	ثالثة أدبي	مسقط
11-	حمد عبود	ثانية ثانوي	مسقط
12-	عبدالله علي يحيى	ثانية ثانوي	مسقط
13-	إبراهيم مراد	ثانية ثانوي	دبي
14-	حميد أحمد الموسوي	أولى ثانوي	صحم

15- محمد الزبير	أولى ثانوي	مسقط
16- بطي عبيد	أولى ثانوي	الشارقة
17- حبيب عبدالنبي مكي	أولى صناعي	مسقط
18- نزار محمد علي	أولى صناعي	مسقط
19- سالم حمدان	أولى صناعي	مسقط
20- حمد سليمان	أولى صناعي	مسقط
21- عبدالله حمدان	أولى صناعي	مسقط
22- عباس جعفر	أولى صناعي	مسقط
23- حسن عيسى	ثانية صناعي	مسقط
24- علي موسى عبدالرحمن	رابعة متوسطة	مسقط
25- عمر عوض	ثانية متوسطة	ظفار
26- محمد عبدالرحمن	رابعة متوسطة	ظفار
27- ناصر عبدالرب	رابعة متوسطة	مسقط
28- علي اسماعيل	رابعة متوسطة	مسقط
29- طالب حارب	رابعة متوسطة	مسقط
30- محمد علي	رابعة ابتدائي (معهد)	تنوف
31- سعود كايد	ثالثة متوسطة	رأس الخيمة
32- عبدالملك كايد	ثالثة متوسطة	رأس الخيمة
33- عبدالله حميد	ثانية متوسطة	رأس الخيمة
34- عبدالعزيز عبدالرحمن	ثانية متوسطة	ظفار
35- أحمد عبدالرحمن	ثالثة ثانوي (معهد)	ظفار
36- محمد عباس	ثالثة متوسطة	مسقط
37- جابر مرهون	ثالثة متوسطة	مسقط
38- هارون سليمان	ثالثة متوسطة	مسقط
39- إبراهيم عبدالله	ثالثة متوسطة	مسقط

عندما تعذر إرسال المزيد من الطلاب إلى معاهد الكويت لكثرة عددهم ، لجأت إلى معارف قطر طالبا منها العون في هذا المجال التربوي و الإنساني ، فما كان منها إلا أن قبلت عددا من الطلاب للدراسة في معاهدها شريطة أن لا تتحمل نفقة سكنهم ، كما ورد ذلك في رسالة معارف قطر التالية:

"معارف قطر

الدوحة – الخليج العربي

الرقم: م ق 1511/3/1
التاريخ: 81/3/30 هـ
61/9/10 م

الموضوع: قبول طلاب بالثانوية
الإشارة:

السيد مدير المدرسة الثانوية ،

بعد التحية ،

فقد وافقنا على إلحاق الطلاب المسقطيين الواردة أسماؤهم بعد بالصف الأول إعدادي و ذلك بعد إستيفاء المستندات المطلوبة و هي الشهادة الابتدائية المسقطية و شهادة الميلاد ... رجاء العلم

1- علي راشد
2- يعقوب يوسف بلال
3- محمد خلفان سالم
4- ناصر محمد الوهيبي
5- محمود سنجور
6- يحيى محمد حميد

- حصلوا على الشهادة الإبتدائية من مسقط.
- لا أماكن لهم بالقسم الداخلي.
- يجري لهم راتب 20 روبية شهريا مع الملابس و التغذية.
- سيتولى السيد حسين درويش تدبير سكن لهم بمعرفته.

- شؤون الطلاب
- السيد حسين درويش التاجر بالسوق

مدير المعارف

عبدالرحمن العطية

لم تكن جهود "الاتحاد العماني" محصورة في الحقل الدراسي و الثقافي فحسب ، بل كانت نشاطاته في الميدان السياسي لا تقل جهدا و أهمية. فقد كان الواجب يحتم علينا إعداد "ميثاق" للإتحاد العماني ، و كان الدافع الوطني يشدنا إلى الاتصال باخواننا المواطنين في داخل عمان و خارجها ، و كانت الظروف السياسية في عالمنا العربي حينذاك تشجعنا في الاتصال بالهيئات الدولية و بالحكومات المتحررة اشرح قضية شعب عمان و فضح المخططات البريطانية الاستعمارية فيها.

لقد عهدنا إلى الزميل أحمد محمد الجمالي باعداد "ميثاق" الاتحاد العماني ، و كان ذلك أول "ميثاق" كتبه الزميل أحمد الجمالي بخط يده عام 1953 ، قبل ادخال أية تعديلات عليه فيما بعد ، و هنا نصه:

"ميثاق حزب الاتحاد العماني"

- المادة الأولى:

يحق لكل فرد عماني وافق على منهج و ميثاق حزب الاتحاد عماني أن يكون عضوا في الحزب المذكور و أن يطيع قراراته و يدفع إشتراك عضويته.

- المادة الثانية:

تتلخص واجبات العضو فيما يلي:

1- أن يسعى في رفع مستواه التفكيري و الأخلاقي و أن يتفهم المبادئ الديمقراطية التي ينادي بها الحزب و التي تكون القواعد الأساسية لتعاليمه.

2- ان يراعي بالدقة أنظمة و قوانين الحزب و أن يشترك اشتراكا فعليا في الحياة السياسية التي يقوم بها الحزب و أن ينفذ تعاليم و قرارت الحزب تنفيذا تاما و أن يكافح كل من يريد الاساءة إلى الحزب في داخله و خارجه.
3- أن يخدم الجماهير خدمة صادقة و أن يقوي صلة الجماهير بالحزب و أن يوضح لها السياسة التي يتبعها الحزب في كفاحه.
4- أن يضرب المثل على حسن طاعته (أوامر و قرارات الحزب) و أن يسعى في تثقيف نفسه عن طريق الاتصال بالجماهير.

- المادة الثالثة:
1- أن يشترك في المناقشات في الجلسات التي يعقدها الحزب و يساهم في حل القضايا الخاصة بتنفيذ سياسة الحزب.
2- أن ينتخب و ينتخب.
3- أن يشترك في وضع النقارير و يقدم الإقتراحات.
4- أن ينتقد في جلسات الحزب أي عمل يصطدم و سياسة الحزب أو يهدد مصالحه.

- المادة الرابعة:
يقبل الانضمام إلى الحزب أي شخص عماني بلغ الثامنة عشرة من عمره و يشترط في نيل عضوية الحزب أن يزيكي الطالب عضوان من الحزب و أن يكون قبول الطلب خاضع لقرار لجنة حزبية تؤلف للنظر في أمر الطلب.

- المادة الخامسة:
على العضو الذي زكى طالب الانضمام أن يقر كتابيا بأنه يعرف سلوك الطالب معرفة شخصية و أن يكون قد أطلع على نهج الحزب و ميثاقه و سياسته و أنه قد اقتنع بأن الطالب يوافق تمام الموافقة على كل ما جاء في نهج الحزب و ميثاقه.

لا تعطى العضوية الكاملة إلا بعد انقضاء أربعة أشهر يبرهن خلالها الطالب على جدارته و استحقاقه لحمل عضوية الحزب الكاملة. و للجنة الحزب الحرية المطلقة في رفض قبول الطلب إذا تبين لها بأن الطالب ، بعد انقضاء مدة التجربة عجز عن تنفيذ قرارات الحزب أو لم يتبع تعاليمه.

- المادة السادسة:
الهيئة العليا لها الحق في فصل أي عضو أخل بتعاليم الحزب أو أتى جرما أخلاقيا كبيرا يسيئ إلى سمعة الحزب و ذلك بعد الاقتناع من أن العضو المذكور غير قابل للاصلاح.

"التكوين الإداري للحزب"

- المادة السابعة:
يقوم الحزب على الزعامة الديمقراطية المركزية و المبادئ الأساسية لهذه الزعامة المركزية هي:

1- جميع الهيئات الحزبية العليا يجب ان تنتخب.
2- تقدم جميع هذه الهيئات الحزبية العليا العليا تقارير عن سير الحركة الحزبية و أعمالها و سير الهيئة المركزية العليا.
3- الهيئات التي يتكون منها الحزب هي كما يلي:
أ- الهيئة المركزية العليا ، و تتكون من خمسة إلى اثنى عشر عضوا خاضعين للانتخابات.
الهيئة المركزية العليا: هي الهيئة العليا التي تضع سياسة الحزب و تشرف على جميع أعمال الهيئات الأخرى التي تعتبر مسؤولة مباشرة عن جميع أعمالها أمام الهيئة المركزية العليا. و للهيئة العليا الحق في دعوة ممثلي الهيئات الأخرى للحضور إلى مؤتمر فوقي للنظر في جميع أعمال الحزب و سماع

التقارير التي يقدمها ممثلو الهيئات الأخرى عن أعمالهم. أن انعقاد مؤتمر كهذا منوط بالهيئة العليا فهي التي تقرر وقت و مكان هذا الإنعقاد حسب الظروف و الأحوال.

ب- يشرف على الهيئة المركزية العليا رئيس و أمين عام (سكرتير).
ج- الهيئة المركزية تقوم بإنشاء الهيئات الحزبية الأخرى و توزيع الأعمال عليها و تكون هذه الهيئات الفرعية خاضعة في جميع أعمالها تحت إشراف الهيئة المركزية بعد تنسيق نشاطها.

- المادة الثامنة:
أن أي قرار تتخذه الهيئة المركزية العليا يعتبر قانونا يسري على جميع الأعضاء و الهيئة العليا لن تتخذ قرارا قبل موافقة الهيئات الأخرى.

و قد أدخلت على ذلك "الميثاق" بعض التعديلات الطفيفة بعد طرحه على الأعضاء العاملين في "الاتحاد العماني" و مناقشته حتى نال الموافقة النهائية و تمت المصادقة عليه. و بذلك أصبح "الميثاق" التالي دستور ملزم احتفظ كل عضو بنسخة منه:

- المادة الأولى:
يحق لكل فرد عماني وافق على منهج و ميثاق حزب الاتحاد العماني أن يكون عضوا في الحزب المذكور و أن يطيع و ينفذ قراراته و يدفع اشتراك عضويته.

- المادة الثانية:
تتلخص واجبات العضو فيما يلي:

أ- أن يسعى في رفع مستواه التفكيري و الأخلاقي ، و أن يهضم مبادئ الديمقراطية التي ينادي بها الحزب و التي تعتبر القواعد الأساسية لتعاليمه.

ب- أن يراعي بالدقة أنظمة و قوانين الحزب و أن يشترك إشتراكا فعليا في النشاط الذي يقوم به الحزب. و أن ينفذ تعاليم و قرارات الحزب تنفيذا تاما.

ج- أن يحفظ جميع أسرار الحزب و ان يكون أمينا على كتمانها.

د- ان يكافح ضد كل من يريد الإساءة إلى الحزب في داخله و خارجه.

هـ- أن يخدم الجماهير خدمة صادقة و أن يقوي صلة الجماهير بالحزب و أن يوضح لها السياسة التي يتبعها الحزب في كفاحه.

- المادة الثالثة:
يقوم الحزب على النظم الديمقراطية المركزية. و المبادئ الأساسية لهذا النظام هي:

أ- أن تتشكل لهذا الحزب هيئة عليا تكون مرجعا لتوجيه الحزب و الاصطلاع بمسؤولية و تقرير الدقيق و الجليل من شؤونه ، على أن تتكون هذه الهيئة من ستة أشخاص ينتخبون سنويا من قبل الأعضاء.

ب- تتكون لجان فرعية في كل قطر يضم أكثر من خمسة عمانيين يرغبون الانضمام إلى الحزب. و على هؤلاء الأعضاء أن ينتخبوا رئيسا يمثلهم بحيث يكون على صلة دائمية بينهم و بين الهيئة العليا. فالرئيس هذا ما هو في الحقيقة إلا همزة الوصل بين الأعضاء الذين انتخبوه و بين الهيئة العليا للحزب.

ج- يحق لكل عضو يلتحق بالحزب أن يقدم اقتراحا إلى رئيس منطقته ليرفعه إلى الهيئة العليا. و على الهيئة العليا أن تدرس كل اقتراح يردها من رؤساء المناطق و أن توليه حقه من الاهتمام و ان يجري عليه تصويت فإن وافق عليه أغلبية الهيئة العليا فعليهم أن يبادروا بتنفيذ ذلك المشروع.

- المادة الرابعة:
إن أي قرار تتخذه الهيئة المركزية العليا المنتخبة من قبل الأعضاء يعتبر قانونا يسري على جميع الأعضاء و الهيئات الفرعية.

- المادة الخامسة:
يقبل الانضمام إلى الحزب أي شخص عماني بلغ الثامنة عشرة من عمره و يشترط في نيل عضوية الحزب أن يزكي الطالب عضوان من الحزب و أن يوافق عليه رئيس منطقته.

لم تكن ظروفي الدراسية حينذاك تسمح لي بتحمل المزيد من المسؤوليات الوطنية ، و لكن أعضاء الاتحاد العماني في المناطق التي تواجد فيها الأخوة المواطنون انتخبوني – دون خيار – رئيسا للاتحاد العماني ، و تلبية لرغبة الأخوة لم يسعني إلا قبول هذه المسؤولية الجسيمة. و قد كنت أحبذ لو أن الزميل محمد أمين تحمل هذا العبء عني ، فيما أنه أكبر مني سنا بنحو ستة عشر عاما - حيث أنه من مواليد 1915– فهو أكثر خبرة مني بهذا الشأن ، سيما و قد تدرج في عدة وظائف ، مكتسبا منها تجارب قيمة كنت أفتقر إليها ، و لكن الزميل محمد أمين هو الآخر أبى إلا أن أتقبل ذلك الواجب الوطني التزاما مني ببنود الميثاق.

إن تجاوب المواطنين العمانيين و حماسهم في عمان و خارجها ، كانت حقا مدعاة للفخر و الاعتزاز. فقد إلتفت حول الاتحاد العماني مختلف الطبقات العمانية – شبابا و شيوخا ، المثقفة منها و غير المثقفة – و أصبح الفرد منهم يشارك في كل نقاش و يشترك اشتراكا فعليا في جميع النشاطات ، فلا عجب إذا – في مثل هذه التجمعات الديمقراطية – أن تبرز المعارضة من بعض الفئات ، و قد حدث بالفعل ما توقعناه ، لقد اعترض الأستاذ عبدالله محمد الطائي (*) على بعض السبل التنفيذية و بعث إلينا بعدة رسائل في هذا الشأن، أضع واحدة منها أمام القارئ ، إيمانا مني بأن القضية ليست شخصية ، و إنما هي قضية عامة من حق كل مواطن الإطلاع عليها. و فيما يلي نصها:

"البحرين في 1954/2/25

الأخوان العزيزان أحمد الجمالي و حسين حيدر درويش ..... حفظهما الله

السلام عليكم و رحمة الله ... أرجو أنكما على خير ما آمل لكما من هناء و صفاء.

كتابك أيها الأخ أحمد وصل و أشكرك على حسن عواطفك أما الأخ حسين فما يزال كتابان مني ينتظران منه الجواب سامحه الله.

أخي أحمد ... سبق أن أعلمني الأستاذ حسن الجشي عن وصول مقالين منك حول صاحبنا و تحمسنا جميعا لنشرهما و لقد ظهرت ثلاثة اعداد من المجلة منذ أن أخبرني و لم أجد أثرا سوى لمقال واحد منك يتعلق بالموضوع و سألت أمس الأستاذ حسن و منه علمت أن هنالك معارضة من بعض الأسرة في نشره فأفهمته أن هذه المجلة صوت الجميع و منبر حر و قد كانت تتكلم عن أشياء لها علاقة بالحرين ذاتها بل و عن دوائر أحد الأسرة موظف فيها فلم يكن عائق للامتناع و نحن العمانيون في نكبة اتفق الشباب ازاءها أن يعملوا متكاتفين كل حسب طاقته و التعريف هو أهم شيء و الأخ أحمد بعيد عن مسقط و حر و ليس له هنالك ما يعوقه ، و إذا كانت هنالك ملاحظات فليس معناها أن يطمس المقال كله و على هذا اتفقنا على النظر في الموضوع مرة ثانية. كما أنه أخبرني عن تهديدكم و ان شاء الله يكون الخير و سأحاول جهدي اقناع المعرض بمساعدة الأستاذ حسن.

كذلك علمت عن ملاحظة الأخ حسين في نشر مقال زنجبار و ليته انتظر فيكمل المقال فكل حكم على سيء ناقص معناه تسرع و على كل فأشكر لك أيها الأخ ما نشر لما به من مراعاة و لولا مراعاتك لما لاحظت.

و لنأت إلى هذا الجمود منكم تجاه ما نكتبه لكم ... و لا تغضبوا فانا لن نعمل مثلكم بترك كل شيء في القلوب بل نصارحكم فذلك أقوم و أتم لقضيتنا. ما بالكم لم تجاوبونا حول ما أسسناه من فكرة اشتراك الربية ... لم يعجبكم. أما كان الواجب أن تكتبوا أن الفكرة خاطئة و لا نوافق و لا نوافق عليها و عند ذلك ربما نأخذ بوجهة نظركم و لكنكم آثرتم السكوت ، و لستم أنتم بل حتى السيد فيصل أصبح أبعد الناس عنا خالفه بعض الشباب بمسقط و اتهمه أحدهم بأنه (تغير) أما أنا فما أظن. و لعلي أفسر سكوتكم و سكوته باتفاق منكم و غن كنت احتفظ بهذا الرأي. على كل حال نحن ماشون ، و هذه الفكرة أفادتنا كثيرا ، عرفنا بها من لم نكن نعرف من خيره و شره و مهدنا السبيل للتعارف الشامل و لكننا رغم هذا لا نريد أن نخسر قوما نعدهم في مقدمتنا.

لا ندري ما الذي جنيناه فنستحق منكم هذا الاهمال ؟ كأنه لا تربطنا أهداف و ما بيننا شيء ، أقول على فرض هنالك شيء ألا توافقون أن الخلافات الشخصية لا دخل لها في قضايانا ... كيف و ما هنالك خلاف مطلقا. ثم إذا قدمنا لكم شيئا فشككتم فيه لماذا لا تقولون خطأ. و إذا نحن عملنا شيئا فلماذا لا تثقون بنا و تعتمدون. أن الثقة أساس كل سيء فبالله عليكم لا تخلقوا هذه الثغرات ... و قد صارحتكم فأرجو أن أستلم منكم جوابا صريحا أيضا. و لو كان في قلبي شيء لما كاشفتكم بكل ما في القلب.

الأخ حسن حيدر وصلت عائلته و حاله يسركم و هو بفضل الله في تقدم و ينتظر عمه الحاج أحمد جمعهم الله على خير.

هذا و السلام عليكم و على الشيخ علي الجمالي و الحاج إبراهيم محمود و الصحب من هنا الأخ حسن و علي خلفان و الجميع.

أخوكم المخلص
عبدالله محمد الطائي

(*) كان الأستاذ عبدالله محمد الطائي في تلك الفترة يعمل في سلك التدريس بالبحرين ، و هو من خيرة المثقفين العمانيين. و كان – رحمه الله – أديبا و شاعرا تفخر به عمان و من مؤلفاته:- دراسات عن الخليج العربي ، ملائكة الجبل الأخضر ، الأدب المعاصر في الخليج العربي – و الشراع الكبير ، و له ديوان شعر "الفجر الزاحف". و بعد الاطاحة بالسلطان سعيد بن تيمور عين وزيرا للإعلام و الشؤون الاجتماعية و العمل منذ تشرين الأول (أكتوبر) 1970 حتى كانون الأول (ديسمبر) 1971 ، ثم غادر عمان إلى أبوظبي حيث عينه حاكمها زايد بن سلطان مستشارا له حتى توفى في أبوظبي يوم 1973/7/18.

إن رسالة الأستاذ عبدالله محمد الطائي هذه ، دليل واضح على مدى اهتمام المواطن المثقف بشؤون وطنه ، و مدى إسهامه الفكري في قضاياه. و يجب أن أعترف هنا ، أن من حق الأستاذ عبدالله محمد الطائي – رحمه الله – أن يعاتبني في رسالته هذه لتأخري في الرد على رسالتين وردتني منه بهذا الخصوص ، و كان سبب تقصيري ، حينذاك ، يعود إلى انشغالي في الاعداد لإمتحان التخرج النهائي الذي كان موعده بعد شهرين من تلقي تلك الرسائل.

كان الزميل محمد أمين هو الآخر قد ضاق من انشغالي بالدراسة و الامتحانات و اعتبرها عائقا في عدم تكريسي كل أوقاتي للقضية الوطنية.

لقد بلغ اهتمامه بالأمر بأن بعث لي برسالة بتاريخ 1954/3/28 مهنئا بالنجاح قبل بدء الامتحان بأكثر من شهر واحد ، و يستطيع القارئ أن يلمس بين سطورها مدى لهفته بأن أنهي دراستي لأتفرغ كلية للقضية الوطنية.

"الكويت ، 1954/3/28

أخي العزيز حسين ...

أشواق كثيرة. و بعد ففي الوقت الذي أرجو أن تكون بصحة جيدة أتمنى أن تكون قد برزت في الفوز في الامتحان و أصبحت الآن من حملة (الدجري) و إني أنتظر بلهفة الأنباء السارة عن ذلك لأزف إليك تهاني القلبية و أشاركك في الابتهاج العظيم الذي هو ابتهاج الوطن أيضا.

لقد بعثت بكتاب أمس إلى الأخ أحمد أطلب منه كلمة نهائية فيما إذا كنت و هو على استعداد للبدء في العمل من أجل القضية العمانية أم لا. و أخبرته أن الوضع في عمان لا يحتمل الصبر و الانتظار و أنه كفانا كلاما و كفى الوطن ذلا و أن التوتر موجود في عمان بصورة مدهشة و هو ينتظر القادة الأحرار ليتسلموا زمام قضيته و قلت له نحن أمام أمرين إما الاتصال بحكومة السعود الجديدة أو بحكومة نجيب أو نحاول الاتصال بكليهما و إني كبير الأمل في أن نحصل على تأييد منهما سويا أو من أحدهما. و طلبت إليه أن يبت في مسألة جنسيته بأسرع ما يمكن لنقوم بوضع خطة مرسومة للعمل و قلت له أيضا أن الجنسية أو الجواز لا يقف حائلا دون التنقل و كل ما في الأمر أنه يحتاج إلى إرادة فاعلة و عزيمة قاطعة.

فالآن أرجو الاجتماع به و بحث الموضوع و موافاتي برأيكما النهائي ما إذا كنتما على استعداد للعمل و بسرعة أم لا ، إنك على وشك الانتهاء من الدراسة و عليه يجب أن اعرف ما إذا كنت تحب أن تشترك في حركة الاتصال باحدى الحكومتين أو كلتيهما أم لا ، إني مستعد في أن أتريث هنا في الكويت كما قلت للأخ أحمد لآخر هذا العام في إنتظار نتيجة جنسيته و في انتظار نتيجة موقفك.

إني لا أستطيع العمل بمفردي على أية حال و لا شك أنك تقدر ذلك. فهل من جواب سريع لأخيك المنتظر. و ختاما تقبل سلامي و اخلاصي و في انتظار جوابك أتمنى لك التوفيق.

أخوك .... أمين

كان الزميل محمد أمين قد غادر باكستان عام 1953 ، بحثا عن عمل بعد أن سئم من الإقامة الطويلة في باكستان ، و أراد أن يكون قريبا من الأخوة العاملين في الاتحاد العماني ، ليقوم بدور أكبر في تعبئة الجماهير الواعية. فقد أدرك محمد أمين أن "الاتحاد العماني" قد احتل مكانة خاصة في قلوب المواطنين العمانيين ، و ساهم كل فرد منهم في نشر مبادئه و تنفيذ قراراته ، و برز أيضا في هذه الفترة نشاط الطلبة العمانيين في الكويت حيث أنصب كل ذلك في قالب وطني واحد. كان لا بد للزميل محمد أمين أن يكون على مقربة من الأحداث و أن يقوم بتنظيم و توجيه تلك الطاقات لتحقيق الأهداف الوطنية ، لذلك اختار الكويت مقرا له و قد توظف في ميناء الكويت بين الفترة 1953 حتى 1955.

و خلال اقامته في الكويت قام محمد أمين بترسيخ مبادئ "الاتحاد العماني" و تنسيق اللجان المحلية في الأقطار التي تواجد فيها المواطنون العمانيون. و قد وجد في شخصية المواطن حمدان عبدالله – خير عون و مساعد في تسهيل مهمته هذه.

كان الزميل حمدان عبدالله يشغل ، حينذاك ، منصب المدير العام في دائرة البريد بالكويت ، و كان قد نزح إلى الكويت منذ عام 1952 و اكتسب خلال اقامته الطويلة في الكويت ود و تقدير المواطنين العمانيين المقيمين في الكويت ، كما كسب أيضا ثقة و تقدير الكويتيين في مختلف الأوساط الحكومية منها و الوطنية.

اتسمت هذه الفترة القصيرة من اقامة الزميل محمد أمين في الكويت بالاتصالات الواسعة بالطبقة المثقفة و بمحرري الصحف في الكويت ، و تعددت نشاطاته لتشمل أيضا الأقطار العربية المتحررة ، إذ كان تردده على القاهرة باستمرار ، حيث اتخذنا من القاهرة مركزا لعقد اجتماعاتنا فيها بين الفينة و الأخرى كلما سنحت ظروف الأعضاء العاملين في "الاتحاد العماني" للاجتماع.

لا شك أن هذا النجاح السريع الذي حققه "الاتحاد العماني" أحدث دويا في الأوساط الاستعمارية. فقد افتضحت سياسة الاستعمار البريطاني لا في عمان وحدها فحسب ، بل و في المنطقة كلها ، و لعل هذا الذي حدا بالاستعمار البريطاني بأن يوعز إلى أعوانه ممن اندسوا في عضوية "الاتحاد العماني" أن يحدثوا انشقاقا و شروخا في الحزب ، و عندما

تفاقمت تلك الانشقاقات و الخلافات وجدت من الأفضل أن أتخلى عن منصبي كرئيس الاتحاد العماني ، لأفسح المجال لغيري لمعالجة الأمر دون أن تتعثر مسيرة الحزب.

قدمت طلبا إلى اللجان المحلية باعفائي من مسؤوليتي ، و على أثرها عقد ممثلو اللجان اجتماعا في الكويت للبت في هذا الأمر. و ترأس ذلك الاجتماع الزميل محمد أمين عبدالله و قرر الأعضاء في اجتماعهم بعدم قبول استقالتي و خولوني بحل الهيئة العليا للاتحاد العماني و اعادة تشكيلها من جديد. جاء هذا القرار في خطاب صادر في الكويت تحرير 30 أيلول (سبتمبر) 1955 ، و موقعا من قبل ثمانية من الأعضاء – البارزين – يجد القارئ هنا نص ذلك الخطاب للاطلاع عليه ، و قد أخفيت منه أسماء و تواقيع الأعضاء الذين يشغلون اليوم مناصب حكومية و ذلك حرصا على مناصبهم ، و تجنبا لإحراجهم.

"الاتحاد العماني

الكويت

في الثلاثين من شهر أيلول (سبتمبر) عام 1955

نحن الأعضاء المنتسبين إلى الاتحاد العماني (فرع الكويت) الموقعين أدناه اجتمعنا في هذا اليوم لنتداول الرأي في الخلاف الناشئ بين بعض أعضاء الهيئة العليا للاتحاد العماني حول السياسة التي يجب أن يسير عليها الاتحاد في تحقيق أغراضه الوطنية النبيلة ، و بعد أن أطلعنا على تفاصيل هذا الخلاف و وجهات نظر الجانبين قررنا ما يلي:

نظرا لأن هذا الخلاف يهدد وحدتنا الكفاحية في الصميم و يبعثر الجهود التي نبذلها معا لخدمة القضية الوطنية في هذه الظروف العصيبة التي يمر بها الوطن ، قررنا بالاجماع تأييد السياسة التي سبق أن وضعها الاتحاد العماني للسير بالقضية نحو أهدافها الوطنية المرسومة و التي نلح إلحاح الشهوة في أن تجري على منوالها هذه مع ادخال التعديلات التي تتطلبها ظروف الحال.

و بناء عليه فإننا ندعو الزميل حسن الرئيس الحالي للاتحاد العماني أنه في حالة تعذر الوصول إلى اتفاق تام شامل على السياسة الأساسية المرسومة أن يحل الهيئة العليا و يعيد تشكيلها من جديد ، على أننا نرشح الزميل نفسه لرياستها نظرا لما أبداه في الماضي من تمسك بأهداف القضية و من مقدرة و كفاية و نشاط في عمله.و مهمته.

راجين التوفيق للجميع في خدمة الوطن و تحقيق أهداف الاتحاد.

اننا نؤيد سياسة النضال السافر ونتحمل مسؤوليتها ... محمد أمين عبدالله ... (هذه العبارة كتبت بخط محمد أمين أما باقي الخطاب كان مطبوعا).

أنظر صورة الخطاب في ص 50.

كان العالم العربي في هذه الفترة في حالة غليان و كانت الشعوب العربية كالبركان الثائر. كان جمال عبدالناصر يقود شعلة الثورة المتاججة إلى الخليج.

وجد الزميل محمد أمين في هذا المناخ ضالته المنشودة التي طالما انتظرها ، فراح يصول و يجول فيه. و أعطاها كل طاقاته النضالية ، و برز في أوساط المناضلين من العرب. و في خضم هذه النشاطات الوطنية وجد محمد أمين بأن الوقت قد حان لإصدار صحيفة "صوت عمان" التي طالما كان يحلم ببروزها إلى الوجود ، فعقد اجتماعا بهذا الشأن حضره ممثلو الاتحاد العماني و ممثلو رابطة الطلبة العمانيين تمخض عن اتخاذ قرار بصدور صحيفة "صوت عمان". و انتخب محمد أمين مديرا لتحريرها. جاء هذا القرار في الخطاب التالي ، بتاريخ 1958/1/23.

رابطة الطلبة العمانيين

التاريخ: 1958/1/23

حضرة السيد حسين حيدر درويش المحترم ..

تحية طيبة ،

يسر رابطة الطلبة إشعاركم بأنه تم في الاجتماع الذي عقد بين ممثلي الاتحاد العماني و ممثلي الرابطة و الذي بحث فيه انتخاب هيئة تحرير صحيفة "صوت عمان" فقد تقرر في هذا الاجتماع تعيين كل من:

1- السيد محمد أمين – مديرا للتحرير.
2- السيد فيصل علي فيصل – مساعدا للمدير.
3- السيد حسين حيدر درويش – عضوا في هيئة التحرير.
4- السيد رئيس رابطة الطلبة – عضوا في هيئة التحرير.

كما قرروا عدم إدخال أي عضو آخر في هيئة التحرير قبل الحصول على الموافقة كتابيا من الأشخاص الأربعة المذكورة أسماؤهم أعلاه.

و دمتم ذخرا للوطن.

سكرتير الرابطة

نسخة إلى السيد محمد أمين عبدالله
نسخة إلى السيد فيصل علي فيصل
نسخة إلى السيد رئيس رابطة الطلبة

بما أنه ورد إسم السيد فيصل بن علي فيصل في الرسالة المنشورة أعلاه ، فقد وجب عليناهعطاء القارئ نبذة عن نشاطاته السياسية خلال تلك الفترة من تاريخ حركة عمان.

إن فيصل بن علي فيصل من مثقفي العائلة الحاكمة ، و هو ابن عم السلطان سعيد بن تيمور ، و قد عمل في مستهل شبابه مدرسا في المدرسة السعيدية الوحيدة في مسقط، ثم نقل إلى وزارة الخارجية العمانية حيث عمل موظفا فيها ن و كان وزير خارجية عمان – حينذاك – نيل أنيس الذي كتب عنه فيصل بن علي فيصل على صفحة 38 من كتابه "سلطان و استعمار" كما يل:-

"من المفروض أن يكون وزير خارجية كل بلد واحدا من أبنائها و لكن حكومة سلطنة مسقط شذت عن العرف السياسي بين جميع حكومات العالم فأذعنت لأوامر بريطانيا بتعيين وزير خارجيتها من أبناء التاميزو من خريجي مدارس الاستعمار. وزير خارجية مسقط الحالي – نيا أنيس – ليس فقط بريطاني الجنسية و الولادة ، بل يهودي الأصل ... "

بعد أن سأم من العمل في وزارة الخارجية ، غادر فيصل بن علي فيصل مسقط لينضم للمجاهدين الصادقين ، كما ورد ذلك في كلمة "تعريف بالمؤلف" المنشورة على صفحة 2 من كتابه "سلطان و استعمار" التي ننقلها هنا للقارئ ، و التي تعطي صورة عن شخصية المؤلف:-

"مؤلف هذا الكتاب شاب من أحرار مسقط ، لم تمنعه صلته بالسلطان – ابن عم السلطان – من أن يثور على الأوضاع القائمة في بلده ... لم يرد أن يسير في ركب الاستعمار و الظلم فآثر الحرية و النور و ترك منصبه الكبير

في وزارة خارجية سلطان مسقط لينضم للمجاهدين الصادقين و ليساهم بعلمه و قلمه و جهاده في تثبيت دعائم القومية العربية المتحررة.

و سيجد القارئ في الصفحات آيات من البيان الحر الصادق و الإخلاص للوطن و عشق الحرية و التحرير ، و إن كان سوء الحظ أن يسود كل هذا مجرد ذكر إسم السلطان".

و خلال وجوده في الخارج تبوأ فيصل بن علي عدة مناصب في مكاتب إمامة عمان ، و من بينها مدير مكاتب إمامة عمان في دمشق الخ ... و قد ألف خلال تلك الفترة كتابين ، أحدهما تحت عنوان "سلطان و استعمار" المطبوع بدار الكتاب العربي بمصر ، و الذي ننشر هنا صورة غلافه كي نعطي القارئ فكرة عن محتوياته:-

"إلى الأحرار من أبناء الأمة العربية أهدي هذا الكتاب ليتأملوا فيه الصفحات السوداء للإستعمار و السلطان الذي جعل من نفسه خليفة الله في أرضه فكانت كلمته قانونا و أمره عقابا أو ثوابا و شعبه سوائم عنده يسخره في طاعته و كما تقتضيه مصالحه الخاصة.

و إلى اولئك الذين جعلوا من أنفسهم عبيدا أذلاء للمستعمرين و صنيعتهم يتملقونه و يتفانون في ارضائه ، علهم عندما يقرأون هذه الصفحات الدامية من حياتهم تستيقظ مشاعرهم و تتحرك ضمائرهم لتدافع عن كرامتهم و حريتهم في سبيل البقاء".

و لكي نقدم للقاؤئ بعض ما ورد في كتابه ذاك ، فإننا نكتفي هنا بنقل بضعة أسطر فقط مما كتبه على صفحة 7 من كتابه المذكور ، و التي قد تغني القارئ من قراءة الفصول الأخرى من الكتاب كله. فلنستمع معا ما سطره المؤلف عن ابن عمه السلطان سعيد بن تيمور:

"السيد بلغة هؤلاء القوم معناها الصحيح من ساد قومه ، و تطلق على كل من يجري في عروقه الدم الأزرق ، و يتوارث هذا اللقب الأحفاد عن الأجداد زهوا و فخرا.

"و سيدنا" هذا هو رأس تلك الأسرة البائسة الذليلة و صاحب الكلمة العليا في البلاد ، فلا رادع يردعه من قبل الشعب و لا ضمير يؤنبه من قبل نفسه. و بهذه السلطة المطلقة تعامى عن الشعب و الضمير و الواقع و تعامى حتى عن العالم الخارجي و ما يحيط به في هذا العالم من هزات شعبية تدك العروش و تؤسس الحكومات.

هو لا يهمه من هذا العالم الخارجي سوى عالمه الخاص و لا يحاول التفاهم مع أية حكومة سوى الحكومة البريطانية التي نصبته و استعمرته هو و أجداده"...

أما كتاب فيصل بن علي فيصل الثاني فقد طبع في "دار الهنا للطباعة" في مصر ، تحت عنوان "القضية العمانية" و هو – كما وصفه المؤلف على صفحة 3 من كتابه – "نبذة عن تاريخ عمان الحديث".

لقد حظي فيصل بن علي فيصل احترام و تقدير زملائه خلال نشاطه السياسي في الخارج ، و عندما عاد إلى عمان عام 1970 – بعد إزاحة السلطان سعيد بن تيمور – تبوأ عدة مناصب وزارية ، و هو يشغل الآن – و حتى كتابة هذه الأسطر – منصب وزير التراث القومي و الثقافة في حكومة السلطنة.

أرفق المؤلف في صفحات الكتاب (ص 55 و ص 56 صورة غلاف كتاب "سلطان و استعمار" و صورة من صحيفة "صوت عمان" العدد الثالث – السنة الأولى – مارس 1958) إضافة إلى صور من بعض المراسلات التي ذكرت في السياق.

انطلق قلم الزميل محمد أمين ليخط في "صوت عمان" أسطرا من نور يضيء طريق النضال و الكفاح. كانت كتاباته تعبر عن أفكاره الثورية ، و آرائه الوطنية المتأججة نارا على المستعمرين. نالت "صوت عمان" إقبالا كبيرا من

أعضاء "الاتحاد العماني" في داخل عمان و خارجها ، بحيث أصبحت كل نسخة منها تتداولها عشرات الأيدي ، فهي كما هو مطبوع على الصفحة الأولى من كل عدد – لسان حال الاتحاد العماني.

لقد نالت أيضا "صوت عمان" إعجاب الوطنيين من اخواننا العرب المقيمين في القاهرة ، و ساهم البعض منهم في الكتابة على صفححاتها ، كما نجد في الصورة المنشورة في الصفحة التالية.

امتازت هذه الفترة من تاريخ الأمة العربية ببلوغ الوعي القومي و الوطني إلى حده الأقصى. إن جمال عبدالناصر الذي فجر الثورة في مصر عام 1952 استطاع أن يرسخ جذورها و يشعل لهيبها في أوائل عام 1956 لتظل متأججة خمسة عشر عاما حتى وفاته عام 1970.

أن ذلك القبس الثوري لم يكن محصورا في مصر وحدها فحسب ، بل بزغ نوره على كل شبر من الوطن العربي ليشمل قارة آسيا و أفريقيا بأكملها.

و هكذا نجد أن الكتابة عن أية حركة تحرر في الوطن العربي خلال هذه الفترة من الزمن ، لا يمكن أن تكون مكتملة ما لم تتطرق إلى ثورة جمال عبدالناصر. لذلك و جب علينا كتابة فصل كامل عن جمال عبدالناصر ، مفجر الثورة العربية.

الفصل الثالث

"جمال عبدالناصر"

كانت معظم الأقطار العربية حتى الحرب العالمية الأولى (1914-1918) خاضعة - بطريقة مباشرة أو غير مباشرة – لسيطرة الأمبراطورية العثمانية التي يصفها بعض كتاب التاريخ بالإمبراطورية المريضة ، و في الفترة ما بين انتهاء الحرب العالمية الأولى 1918 ، و حتى نشوب الحرب العالمية الثانية 1939 ، تقاسم الاستعمار البقية الباقية التي لم تكن خاضعة لنفوذهم من قبل ، و بذلك أصبح الاستعمار الفرنسي يسيطر على المغرب العربي و سوريا و لبنان ، كما سيطر الاستعمار الايطالي على ليبيا ، و شدد الاستعمار البريطاني من قبضته على مصر و السودان و العراق و فلسطين و الجزيرة العربية ، فكانت له بذلك حصة الأسد من "الكعكة المجزأة"(*).

تبدد حلم الأمة العربية ، إذ ما كادت تتخلص من الاستعمار العثماني حتى تلقفتها أيدي المستعمرين الجدد. و لكي تتم قبضة المستعمر الجديد على تلك الأقطار ، لجأ إلى اختيار حكام لها من أعوانهم سلطوهم على رقاب الشعوب العربية في بعض الأقطار الخاضعة لنفوذهم. فجاء الإنجليز بفيصل بن الشريف حسين و نصبوه ملكا على العراق عام 1921 ، و اقتطعوا جزءا من فلسطين ، أطلقوا عليه "المملكة الأردنية الهاشمية" ، و نصبوا عبدالله بن الشريف حسين ملكا عليها و توجوا أبناء و أحفاد محمد علي الكبير ليتوارثوا عرش مصر أبا عن جد. هكذا كان نهجهم في جميع الأقطار التي خضعت لسيطرتهم. و بالرغم من هذه السياسة الهوجاء ، فغن المستعمرين لم يفلحوا في إخماد الوعي القومي في الأمة العربية ، و إن كانوا قد نجحوا في قمع الانتفاضات و الثورات العربية هنا و هناك مثل ثورة عرابي و ثورة سعد زغلول في مصر .... الخ.

عندما أعلن الاستعمار البريطاني قراره بتنفيذ وعد بلفور بعد الحرب العالمية الثانية ، اندلعت الشرارة الأولى للثورة العربية التي عملت على ايقاظ الشعوب العربية من سباتها ، فقد أدركت بأن خطرا جسيما يهدد كيانها بغرس "الدولة الصهيونية" في قلب الأمة العربية ، هذا المخطط الرهيب ألهب الثورة و أيقظ الوطنية في نفوس أبناء الأمة العربية ،

مما أجبر الحكام من أعوان الاستعمار على التظاهر برفض المخطط و ارسال جيوش رمزية في عام 1948. كان الهدف منه محاربة الصهيونية و الحيلولة دون تقسيم فلسطين ، غير أن الهدف الحقيقي من ورائه كان تنفيذ المخطط الاستعماري الذي اتفق عليه مسبقا باجلاء المواطنين الفلسطينيين عن الأراضي التي تقرر تسليمها لليهود لاقامة دولتهم "اسرائيل" عليها.

إن أول من أدمى قلبهم لهذه المأساة هم الضباط الأحرار من أبناء مصر و العراق و سائر الأقطار العربية الذين شاركوا في المعركة جنبا إلى جنب مع أبناء فلسطين الذين جمعتهم كلهم الخنادق الفلسطينية. لقد شاهدوا بأم أعينهم كيف نفذ الخونة من حكام العرب سيناريو تلك المسرحية التي أعدها لهم المستعمر البريطاني.

لقد كان جمال عبدالناصر في مقدمة من تأثر بهذه المأساة. و قد أدرك بأن تحرير فلسطين لا يمكن التحدث عنه أو التفكير فيه ما لم يبدأ – قبل أي شيء آخر – بتحرير وطنه مصر.

من هذا المنطلق كرس جمال عبدالناصر كل جهده و نشاطه في تنظيم زملائه من الضباط الأحرار للاطاحة بالملكية في مصر حتى تحقق ما أراد في 23 تموز (يوليو) 1952 ، و من هذا المنطلق ، أيضا ، اتجه جمال عبدالناصر إلى تحرير الأقطار العربية الأخرى من النفوذ الاستعماري ، فحقق غايته النبيلة في الجزائر و العراق و ليبيا و السودان و سوريا و اليمن ... و لولا أن عاجلته المنية لتغير اليوم وجه الأمة العربية بأكملها.

(*) من الخطأ الاعتقاد أن الاستعمار البريطاني نشب مخالبه في جسم الأمة العربية ، بعد انتهاء العهد العثماني ، و اندحار الدولة العثمانية ، في نهاية الحرب العالمية الأولى عام 1918. فقد سبق للاستعمار البريطاني ان بسط نفوذه قبل ذلك بكثير ، عندما منحت الدولة العثمانية "الامتيازات" للإنجليز عام 1580 في العراق لشركة "الهند الشرقية البريطانية" التي تأسست في البداية كشركة تجارية ، و لكنها كانت تقوم بأعمال غير تجارية بحتة ، فقد احتفظت بجيوش و أساطيل خاصة بها ، كما ذكر "فيليب أيرلند" في كتابه "العراق دراسة في تطوره السياسي" و هذا الوضع يشمل جميع الأقطار العربية التي كانت تخضع للحكم العثماني يوم ذاك.

كانت الجماهير العربية من محيطها إلى خليجها ملتفة حول راية النضال التي كان جمال عبدالناصر يرفعها خفاقة و هو يقود المسيرة ، و كانت خطاباته الوطنية تلهب الثورة في نفوس الأحرار من هذه الأمة ، و أذكر ذات ليلة صيف كنت أقود سيارتي في وسط صحراء الخليج لأصل إلى المنزل الذي كان المواطنون يجتمعون فيه لسماع خطاب جمال عبدالناصر كلما تحدد مسبقا موعد لقائه ، و ليتداولوا بعد ذلك أمورهم و أوضاعهم السياسية. و لشد ما كان استغرابي عندما وجدت تلك الصحراء على طرفي الطريق الممهد مليئة بالسيارات المنتشرة في كل بقعة منها و صوت جمال عبدالناصر ينبثق من مذياع كل واحدة منها. لقد تخيلت تلك السيارات و كأنها آليات حرب أخذت مواقعها في وسط تلك الصحراء الشاسعة المضيئة بنور القمر لتصغي إلى قائدها بخشوع و حزم.

كان المناضل العربي لا يخشى الاضطهاد و التهديد و لا يرعبه النفي أو السجون.

و هذه الصورة المنشورة هنا من رسالة الأستاذ عبدالرحمن الباكر بتاريخ 1959/1/22 م ، التي كتبها من منفاه بجزيرة "القديسة هيلانه" لخير مثال على إيمان المناضل بقضيته و على مدى استعداده للتضحية في سبيل وطنه:

القديسة هيلانه ، 1959/1/22

أخي الكريم حسين درويش عاش موفقا .. تحية طيبة ، و أشواقا حارة.

أرجو أنك تتمتع بموفور الصحة و الهناء.

لي مدة طويلة أواصل استفساري الحاج العليوات عن أخبارك ، و هلا لا زلت في منفاك الاختياري في مسقط (بلد الحرية و الديمقراطية و العدالة) ! أم أنك عدت إلى البحرين ؟ و قد سررت حين قرأ لي الحاج عبد علي تعليقك

الشخصي في كتاب الأخ عبد الكريم و ذكرك الأخوي لأخيك و صديقك ، الذي يكن لك كل تقدير و إعجاب و يقدر لك هذا الوفاء.

إني في شوق لرؤيتك و الاستئناس بحديثك العذب و الاستنارة بآرائك الصائبة المجدية ، و لعلك تذكر آخر اجتماعي بك قبل سفرك لزواجك الميمون الذي أرجو لك السعادة الزوجية بالرفاه و البنين ، إذ لم تتح لي الظروف أن اهنئك في وقته ، و قد سافرت أنت إلى الهند و أنا سافرت إلى الخارج و عندما عدت إلى البحرين كان لسوء حظي انك في منفاك الاختياري في مسقط ، ثم كان ما كان من أمر العم (جون بول) معنا الأمر الذي أدى إلى أن أكتب إليك هذه الرسالة و أنا في جزيرة القديسة هيلانه ، اتمسح ببركات الاسم و استدر الرسم !!

أما حالتي فأقول كما قال شاعرنا العربي القديم:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي *** بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان

و أما حالي فأنني بصحة جيدة استنشق الهواء العليل الذي تأتيني نفحاته من قمم الجبال المرتفعة التي يجثم سجننا تحت سفحاتها مطلا على الميناء و مرسى السفن التي تطرق الميناء المهجور في كل شهر مرة !! أجابه هذا الوضع بعزيمة صادقة و إيمان قوي و استقبل ما تأتيني به الأيام بالابتسامة ذات الطابع الصارم من الحزم و مضاء العزيمة ، لا تلين لي قناة و لن ينحني لي رأس ، حتى أخرج منتصرا و أنا أشد مراسا و أمضى عزيمة ، تنعكس في مخيلتي ما لقيته من مر و علقم و ما مر بي من عنت و ظلم فازداد مع الأيام شدة و يقينا بأن الحرية ثمينة و تستحق من يضحي من أجلها لينعم بأريجها العبق أولئك الذين حرموا من نعمتها و الذين لا زالوا تحت نير وطئتها ، و لا شك أنك تقر في أن هذه هي نواميس الحياة. (زرع الأولون فأكلنا و نزرع ليأكل من يلينا). و أنا واثق كل الثقة أن الغد المشرق لنا ، و ان جميع الطفيليات ستجتثها مناجل القوة العارمة المتمثلة في الوعي النامي في تلك البقعة المباركة. و لعلك يا صديقي تذكر آخر حديث لي معك ألم أكن أنظر من وراء حجب الغيب و اتنبأ لك بما سيحدث ، و كنت تخالفني الرأي و لم تكن تتصور أن تتطور المسألة إلى هذه الدرجة ، و أنا عالم بما سيحدث منذ أول يوم رفعنا الراية ، إنما كانت مجرد أنساب دقت لجماعة و ترك النفس لجماعة آخرين !! الحديث ذو شجون يا صديقي الوفي فأقبل مني هذا الاختصار المقصود و تقبل مني أحر أشواقي و خالص ودي و أطيب تمنياتي بدوام الصحة لك و للعائلة. و الله يحفظك.

صديقك المخلص

عبدالرحمن الباكر

و يستطيع القارئ أن يلمس من بين أسطرها تلك الطاقات النضالية التي لم يستطع السجن أو النفي أن يثنيه عنها.

إن الأستاذ عبدالرحمن الباكر من الأبطال المناضلين الذين يجب أن يعتز بهم ليس أبناء البحرين فحسب بل و الأمة العربية جمعاء. فقد أوقد روح الثورة في البحرين عام 1954 ، و قادها حتى اعتقل عام 1956 ، و سجن في البحرين ، ثم نفاه الإنجليز إلى جزيرة "سانت هيلانه" و اطلق سراحه عام 1961 ، و عاش بعيدا عن وطنه حتى توفى في بيروت في 1971/1/10 ، و من المؤسف حقا أن شعب البحرين و شعوب الخليج العربي لم تنصفه لعدم تخليد ذكراه تقديرا منها لكفاحه المرير من أجل حريتها و استقلالها ، و لا شك أن الأجيال القادمة سوف تسطر إسم الأستاذ عبدالرحمن الباكر من في صفحات تاريخها النضالي الذي بذر من روحه بذرتها و سقى من دمه تربتها ، و الكتابة عن نضال الأستاذ عبدالرحمن الباكر يتطلب كتابة كتاب منفصل عنه ، فقد كان رحمه الله – يستبق بنظره الثاقب الأحداث السياسية ، و كثيرا ما كانت توقعاته تتحقق و لو بعد حين. و هذا نص رسالته بتاريخ 1967/12/27 لخير مثال على حنكته السياسية و نضوجه الفكري و روحه الوطنية المتأججة:

بيروت في 1967/12/27

حضرة الأخ العزيز الفاضل حسين حيدر درويش المحترم.

تحية طيبة من أريج لبنان العبق.

و بعد استلمت رسالتك الكريمة و أشكرك على عواطفك النبيلة نحوي ، أما صحتي فأحمد الله إليك أنني أحسن كثير مما كنت عليه و لا زالت تتحسن بفضل الرقابة و الحمية من كل شيء. و عسى الله يحقق الأماني لشعبنا العربي في إزالة آثار العدوان و تطهير خليجنا و عماننا من المستعمرين كي تقر أعيننا و إذا مت ففيكم و أمثالكم البركة ما دمتم تسيرون على النهج القويم.

لقد قرأت دستور طارق فلم أجد فيه جديد إلا تكريس للوجود القائم فبدلا من سعيد طارق و لعل في سعيد حسنات لا تكون لدى طارقا منها شيئا و هو كما يشاهد في المرابع الليلية متأبطا ذراع أجنبية أو على المائدة الحمراء ، أو في مرقص يهتز كأنما يتمرن لرقصة الحرب بعد عودته ظافرا. خذها مني يا عزيزي أن الحل الوحيد لتحرير عمان هو الكفاح المسلح المنظم طابعه الإيمان بعدالة القضية لحمته و سداه التضحية و الفداء. أما طارق و غالب و صالح و سليمان و من لف لفهم فهم أعداء عمان و تقدمها. و إلى أن تظهر الفئة المؤمنة الباذلة بكل معنى الكلمة لنصلي إلى الله أن ينقذ عمان مما أبتليت به من أعداء في الداخل و أعداء في الخارج.

و بمناسبة حلول عيد الفطر أرجو أن تقبل مني خالص تهنئتي القلبية راجيا من الله أن يعيده عليك بالصحة و السعادة. و على الأمة العربية بأحسن منه.

و تفضلوا بقبول تحياتي ... حفظك الله.

أخوك

عبدالرحمن الباكر

كان ذلك حال الزميل محمد أمين عبدالله ، فمنذ أن وطأت قدماه أرض الكنانة و استقر فيها عام 1956 ، و هب كل طاقاته النضالية من أجل قضية عمان ، فراح يكتب و ينشر عنها و يذيع ليس من "صوت العرب" فحسب ، بل كان داعيا متنقلا يشرح القضية العمانية حتى ذاع صوته في أوساط المناضلين و وصل صيته إلى المسؤولين المصريين الذين كانت مبادؤهم نصرة القضايا الوطنية و مناصرة حركة التحرير العربية.

كان الاتصال بيننا – الأعضاء العاملين في الاتحاد العماني – و بين الحكومة المصرية وثيقا ، و كان كل عضو منا – شأنه في ذلك شأن الجماهير العربية كلها – تستمد طاقاتها النضالية من قائدها جمال عبدالناصر ، فلا عجب ، إذن ، أن وجدنا الجماهير العربية تهب بحماس يوم أعلن جمال عبدالناصر تأميم قناة السويس في عام 1956 م ، و لم أتمالك يومها إلا التعبير له برقيا عن الشعور الوطني الذي يحمله أعضاء الاتحاد العماني لتلك الخطوة الوطنية ، و كم كان سرور الأعضاء عندما تلقيت الرد ، برقيا ، من جمال عبدالناصر ن حول تلك المناسبة العزيزة. و قد احتفظ "الاتحاد العماني" في كل منطقة بصورة من هذه البرقية التالية:

السيد رئيس الاتحاد العماني الحر – مسقط . تأثرت كل التأثر لما جاء في برقيتكم الرقيقة من معاني التأييد لقرار تأميم قناة السويس الذي أعاد لمصر حقا من حقوقها المغتصبة. فأشكركم و أدعو الله أن يجعل هذه الخطوة عاملا قويا في إسعاد شعب مصر و دعم أسباب رخاء الشعوب العربية جمعاء.

جمال عبدالناصر

و عندما اشتعلت ثورة إمامة عمان ، هب أعضاء الاتحاد العماني لنصرتها و الانضمام في صفوفها إيمانا منهم بالواجب الوطني. و لكي نلقي بعض الضوء على ثورة امامة عمان ، يمكننا أن نقرنها بثورة العشرين التي اندلعت في العراق في 30 حزيران (يونيو) عام 1920. فإن كلا الثورتين قام علماء الدين بالاعداد لها ، و قيادتها و توجيهها. و كان هدفهما معارضة المشاريع الإنجليزية و مقاومة الاحتلال البريطاني (*) ، غير أن سبب فشل الثورتين يختلف كليا.

ففي حين أن سبب فشل ثورة العشرين العراقية – بعد خمسة أشهر من نشوبها - ، و بعد قتال مرير و معارك ضارية – يعود إلى القوة الغير متكافئة ، حينذاك ، بين الثوار الذين ينقصهم العتاد و التدريب على القتال و الجهل بحرب العصابات ، و بين الجيش البريطاني الذي استعمل الأسلحة الحديثة ، و قام بشتى أعما الوحشية و الفضائع. و بالرغم من ذلك فقد ذكر "فيليب أيرلند" في كتابه "العراق دراسة في تطوره السياسي (مترجم) بيروت 1949 ص 224-225: "و سيكون على سلطات الانتداب انزال ضربة قوية بالقيادة الدينية التي يمثلها العلماء ، باعتبارهم قوة الحل و العقد التي تشكل (العقبة الكأداء) في وجه تأسيس حكومة عربية (واجهة)". أما سبب فشل ثورة الإمامة في عمان فيعود إلى عدم اخلاص بعض القادة إلى مبادئهم ، و إلى توغل عملاء الإنجليز في صفوفها ، بحيث أصبح معظم الذين اشتركوا فيها يتبوؤون في النهاية مراكز عالية في عمان بعد عام 1970 ، مكافأة لما قدموه من خدمات سابقة.

كانت ثورة إمامة عمان تلقى ترحيبا و تأييدا من المسؤولين المصريين ، انطلاقا من مبادئ جمال عبدالناصر بمناصرة الحركات الوطنية في العالم العربي ، فقد ساندت الحكومة المصرية الثورة العمانية ماديا و معنويا و سمحت لممثليها بفتح مكاتب سياسية لها في القاهرة و دمشق. و اندفع أعضاء "الاتحاد العماني" ، في بادئ الأمر ، بالتعاون مع ممثلي إمامة عمان – بدون تحفظ – باعتبار أن تلك الجماعات تمثل الثورة العمانية ، و الواجب الوطني يحتم علينا التعاون معهم. و لكن – و من المؤسف حقا – بأننا قد صدمنا بالواقع بعد فترة من تعاملنا معهم و معرفة الحقائق التي لا يمكن للمواطن العماني تقبلها. و لم نكن وحدنا الذين اكتشفنا تلك الحقائق ، بل و قد سبقنا إلى معرفتها المسؤولون المصريون أيضا.

ففي أوائل 1960 ، كنت في زيارة إلى القاهرة و في كل مرة أزور فيها القاهرة كان لا بد لي من أن ألتقي بالمسؤولين في الحكومة المصرية لتبادل وجهات النظر عما جد في القضية العربية بصورة عامة ، و قضية عمان بصورة خاصة. ذهبت إلى المسؤول الكبير و بصحبتي محمد أمين عبدالله ، و دار الحديث عما يجري على الساحة العربية ، و الساحة العمانية ، فوجدته – في هذه المرة – يصغي إلي دون أن يقاطعني حتى أنهيت حديثي ، فبادرني بسؤال لم أكن أتوقعه: "هل لهؤلاء الناس – يقصد ممثلي ثورة إمامة عمان – تأييد شعبي في بلادهم ؟". و دون أن يترك لي وقتا للاجابة ، أردفني بسؤال آخر: "هل أنت و زملاؤك واثقون من اخلاصهم لقضيتهم و وطنيتهم ؟". لم أستطع الاجابة أو التفوه بكلمة واحدة ، فاسترسل في الحديث قائلا: "ثق يا ابني – و لأول مرة يخاطبني بلغة الأب الحنون – إذا تسنى لهؤلاء الحكم في عمان فسوف تكونون أنتم أول ضحية لهم ، أنكم تكونون خطرا عليهم". ثم سكت برهة و أضاف قائلا: "لا شك انهم يشعرون بذلك". ثم التفت إلى الزميل محمد أمين و فاجأه بسؤال آخر: "اين المبالغ التي يستلمونها منا و من الدول الأخرى المتحررة من أجل الثوار الذين يناضلون في عمان ؟". فلم ينبس الزميل محمد أمين ببنت شفه ، فتجنب إحراجه و أجاب بنفسه على ذلك السؤال: "أنهم يتقاسمونها فيما بينهم !".

(*) و لمعرفة المزيد من التفاصيل حول ثورة العشرين العراقية ، راجع كتاب "دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث" للدكتور عبدالله النفيسي ، عضو مجلس الأمة الكويتي الذي حله الأمير في عام 1986.

ما أن خرجنا من مكتب هذا المسؤول في "منشية البكري" ، و استقر بنا المقام في السيارة التي راحت تلتهم بنا شوارع القاهرة ، حتى التفت إلي الزميل محمد أمين و بادرته السؤال مباشرة: "هل أنت على علم بما قاله هذا المسؤول ؟" ، فهز لي رأسه مؤكدا بالإيجاب ، فقلت له معاتبا: "لم لم تصارحني و غيري من أعضاء "الاتحاد العماني" بما توصلت إليه من حقائق ؟". هنا أجابني الزميل محمد أمين و قد بدا الحزن على محياه و أغروقت عيناه قائلا: "لم أشأ أن أشاطركم مشاكلي الشخصية و آثرت أن أتجرع المأساة بنفسي". أدركت ما كان يقصده محمد أمين ،

أنه يعيل أسرة و ليس له من مصدر آخر يعيش منه في مصر سوى هذا الراتب الزهيد الذي يتقاضاه من مكتب إمامة عمان في القاهرة.

ظل محمد أمين سنوات طويلة يعاني من الضائقة المالية التي لاحقته طيلة حياته النضالية ، و قد رفق بحاله كل المناضلين الأحرار. و في مقدمتهم المناضل الأبي الذي امتلأ قلبه حبا و حنانا لكل إنسان و هو الأستاذ عبدالرحمن الباكر الذي كتب لي حول ذلك هذه الرسالة تحرير 1967/1/11:

حضرة الأخ العزيز السيد حسين حيدر درويش   المحترم

تحية طيبة ،

و بعد ، أشكرك على تهنئتك بالعيد أعاده الله عليك و أنت في موفور من الصحة و التوفيق. لقد كنت أتوقع استلام رسالة منك حين وصولك قطر منذ شهرين و لكن يظهر أنك غطست في شؤونك الخاصة و العامة. لقد زرت القاهرة في فترة الأعياد و قضيتها أياما لذيذة ممتعة طيلة خمسة أيام و قد رأيت الأخ محمد أمين و الواقع أنه متعب و يجب أن ينظر في أمره لا سيما و أنه يعيل عائلة كبيرة. قاتل الله أولئك الذين حملوا راية الجهاد فاذا بهم يجاهدون لسرق أموال الناس و حشو بطونهم و اشباع شبقهم الجنسي في الزواج المتواصل و الطلاق المتواصل باسم الجهاد لأجل شعب عمان المنكوب بهم. كيف حالك هناك و كيف ثم كيف و متى نراك في بيروت.

تحياتي للجميع و منا الجميع يسلمون .. حفظك الله.

المخلص

عبدالرحمن الباكر

لقد كان المصدر الوحيد الذي كان يعتمد عليه الزميل محمد أمين في إعالة أسرته هو كتبه التي قام بترجمتها من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية. و كثيرا ما كانت تلك الكتب مقاطعة في أقطار الخليج و تمنع مديرية الاعلام من استيرادها ، مما اضطر زملاء محمد أمين إلى استيرادها خلسة. هذه رسالة أخرى من المناضل حمدان عبدالله يشرح فيها الضائقة المالية التي يعانيها الزميل محمد أمين و يحثني فيها على وجوب كسر الطوق من حول كتب محمد أمين ، بتاريخ 1968/2/20:

الأخ العزيز حسين حيدر درويش ...

بعد التحية يسرني أن تكون و الأولاد بأتم الصحة ... لقد سبق لأن بعثت لك كتاب بيد الأخ درويش أرجو أنه وصل ، الشهر الذي فات وصل هنا أولا فهر و كان ضيفا لوزارة الخارجية و بعد أيام وصل أيضا فيصل بعد سفر فهر و هناك محاولة الآن للجمع بين الطرفين أي بين جماعة الإمام و بين جماعة طارق كي يكون المعمل مشترك ضد ... و لكن حتى الآن الاتصالات و الاجتماعات ما تمخضت عن نتيجة. فأما أصحابنا يظهر أنهم أصيبوا بالإفلاس المادي و أننا في انتظار الأيام القادمة و ما تنطوي عليه من أخبار. أخي حسين أبعث إليك بكتاب البترول و الرأي العربي ترجمة الأخ أمين و لا شك أنك لك صلة قوية بالمكتبات بقطر لإارجوك أن تعرضه على المكتبات للتصديق و إذا ممكن إدارة المعارف أن تأخذ منه شيء حيث هنا وزارة التربية أخذت حوالي 200 كتاب في سعر 300 فلس. و بما أن الكمية المطبوعة ما يقارب 900 كتاب فغذا رأيت من المناسب أن يكون في متناول أيدي أخواننا القطريين حيث أن الكتاب له قيمته و من ناحية أخرى يجب علينا أن نساعد الأخ أمين و حالته ليست خافية عليك فهو في أمس الحاجة و أرجوا أن تجتهد و لا يخيب ظننا فيك يا أبا فهد كما أني أيضا سلمت للأخ حسن عشر نسخ كي يعرضها على مكاتب البحرين و على فكرة إذا تيسرت الأمور أن يكون البيع نقدا و أنني في انتظار الرد و إلى اللقاء.

أخوك حمدان

و كما سيجد القارئ ن فقد تطرق الزميل حمدان عبدالله في رسالته أعلاه ، عن الضائقة المالية التي يعاني منها المناضل محمد أمين عبدالله ، و عن اعتماده الكلي على ما تدره عليه كتبه من الدخل الضئيل الذي لا يكاد يكفي لأعالة أسرته.

و يلاحظ القارئ أيضا ، ما أشار إليه الزميل حمدان عبدالله في رسالته تلك إلى التحركات التي كان يقوم بها حينذاك من اسماهم جماعة طارق و إتصالاتهم بالأشخاص الذين اطلق عليهم – كما ورد في رسالته تلك – بجماعة الإمام "كي يكون العمل مشترك ضد ... " و يقصد – طبعا – ضد سعيد بن تيمور.

لا بد لنا هنا من وقفة قصيرة ، لنجلب انتباه القارئ ، إلى أن تلك الاتصالات و الاجتماعات التي أدت إلى تحالف الطرفين ، و تنسيق مخططاتهم المستقبلية – كما ورد في الرسالة – منذ فبراير 1968. و بما أن هذا الموضوع ليس مجال شرحه في هذا الكتاب ، لذا فقد وجب عدم التطرق إليه هنا ، حتى يأتي الوقت المناسب لسرده.

و بعد أن أصبح ما يجول في الأفق واضحا جليا ، و بات أمر عودة الجماعتين لتتقاسم السلطة بينهما قريبا ، كان من الطبيعي أن نتطلع إلى معرفة المخطط الجديد تجاهنا في المستقبل. و قد أوكلت مهمة جس النبض تلك إلي ، ففتحت قناة الاتصال بيني و بين طارق. و هذه صورة من رسالة طارق بعثها إلي من ألمانيا تحرير 1969/5/8 تلقي الضوء على تلك التساؤلات:- (أنظر صورة من رسالة طارق على ص 77)

(الرسالة باللغة الإنجليزية و غير واضحة التصوير)

ففي الوقت الذي نصحني طارق في رسالته تلك بالعودة إلى وطني إذا أعطيت ضمانات "بسلامتي و حريتي" ، أبدى شكوكه في مصداقية تلك الضمانات قائلا: "لا أستطيع إبداء رأيي حول إخلاص ذلك العرض". فكأنه أراد بذلك أن يشير إلي بأن أتريث حتى يعود فتصدر الضمانات المخلصة من الحكومة الجديدة. و قد استطعنا أن نلمس من تلك الرسالة موقف الحكومة الجديدة منا في المستقبل ، و ما كان يخفيه القدر لنا.

و أغرب ما جاء في رسالة السيد طارق تلك هو عتابه لي لعلاقتي بأحد أقربائه و هو نصر بن حمود البوسعيدي الذي عاش فترة طويلة في دولة قطر يرعى خيول حاكمها – حينذاك – أحمد بن علي آل ثاني ، مقابل راتب زهيد يكاد لا يكفي قوت يومه ، و قد كانت علاقتي به – رحمه الله – علاقة إنسانية بحته. و أني إذ أسطر هنا عن شخصية نصر بن حمود ، لا أبتغي من وراء ذلك سوى سرد الحقائق و أمانة للتاريخ و للأجيال القادمة. أن نصر بن حمود قد عانى في غربته من البؤس ما يستحق العطف و التقدير. و قد عاش بعيدا كل البعد عن النشاطات السياسية ، و تحلى بالتواضع و حسن الأخلاق.

فيما يخص اتصالاتنا بالمسئولين المصريين فقد كانت مستمرة على الرغم من تعثر قضيتنا.

و جاءت هزيمة 1967 ، فأثرت تأثيرا مباشرا على حركات التحرير في الأمة العربية كلها ، و لكن التاريخ سوف يشهد باعتزاز كيف استطاع جمال عبدالناصر أن يمحو آثار تلك الهزيمة من النفوس العربية و أن يعد جيشه في فترة قصيرة للمعركة القادمة. فقد كانت السنوات الثلاث الأخيرة من عمره أشق فترة قضاها دون أن تغمض خلالها عينا ذلك القائد الفذ الذي تحول كالليث الجريح ، همه النصر و محو آثار العدوان.

استدعاني ذلك المسؤول الكبير عام 1968 ، فطرت إلى القاهرة ، و ما أن وطأت قدماي مدخل البناية التي يقع فيها مكتبه بمنشية البكري حتى شعرت كأن مصر في حالة حرب حقيقية. كانت البناية و كأنها خلية نحل. و تخيلت كل شيء يهتز أمامي ، و ما كدت أصل إلى مكتب ذلك المسؤول حتى وجدت العشرات من الضباط يدخلون إليه و يخرجون منه. حياني بتحية موجزة ، و بدون مقدمات خاطبني قائلا: " أنت تعلم بأننا نتأهب لمعركة حاسمة ، أن من

واجب كل فرد منا تعبئة الجماهير العربية لهذه المعركة المقبلة". كان خطابه لي ذو طابع عسكري بحت ، و لم يكن - هذه المرة – هادئا ، فقد تخللت زيارتي القصيرة له عدة مكالمات هاتفية و عدة طرقات على الباب ، و لكن بالرغم من تلك التداخلات فقد نقل لي ما كان يريد أن يقوله. و عندما وقفت مودعا شد على يدي قائلا: "أن مصير الأمة العربية يتوقف على هذه الفترة من العمل و التأهب".

لو أمهل القدر جمال عبدالناصر و قاد بنفسه تلك المعركة التي أعدها و خطط لها ، لكانت ثمارها اختلفت كلية عما جنته الأمة العربية من حرب تشرين الأول (أكتوبر) عام 1973 م.

الفصل الرابع

"جبهة الخليج العربي و جنوبي الجزيرة"

كانت الطاقات النضالية التي تكمن في نفس كل مواطن من أبناء الأمة العربية خلال فترة مسيرة جمال عبدالناصر أقوى من حواجز الحدود المزيفة ، و أكبر من مساحات قطره الأقليمية. و كان التيار المنبثق من نفس الفرد العربي كافيا يدفع "عربته النضالية" من المحيط إلى الخليج ، محطما بذلك الحدود الاقليمية و الأسوار المزيفة.

برزت ، في هذه الفترة ، تكتلات شعبية في مختلف الاقطار العربية. و أعلن أبناء الخليج العربي و جنوبي الجزيرة عن قيام جبهة قومية موحدة تضم جميع الحركات النضالية في المنطقة وفقا للبيان الصادر من مكتب الخليج العربي و جنوبي الجزيرة بدمشق بتاريخ 1956/9/25 م:

بيان

في هذه المرحلة الدقيقة التي تجتازها الأمة العربية يمضي الشعب في الخليج العربي و جنوبي الجزيرة في نضاله العنيد المتواصل ضد التجزئة البغيضة و الاستعمار المتكالب و الرجعية و هو في ذلك إنما يستشعر في أعماقه خطورة هذه المرحلة و يؤمن إيمانا لا حد له أن الحق العربي حق واضح بين و أن النضال في سبيل هذا الحق هو نضال نجيد لن يلقى في النهاية إلا النصر الأكيد مهما كثرت العقبات و مهما ادلهمت جوانب الطريق النضالي الوعر.

أن الشعب العربي في الخليج و جنوبي الجزيرة عندما يعلن هذا الأمر يسجل حقيقة أساسية و هي أن النضال في بقاع الوطن العربي هو نضال واح . و ينظر الشعب في هذه المنطقة إلى الواقع و يشهد فيه مأساة الحياة العربية تتمثل في شتى المرافق. و يرى في ذات ا لوقت خيوط الوحدة القومية الخالدة قد شتتها أيادي الاستعمار و غذتها مؤامرات الأعداء ، و لذلك يعلن اليوم عن إيمانه العميق بأن وحدة النضال العربي ضرورة قومية ملحة يفرضها واقع العرب التاريخي الواحد و تفرضها بالتالي خطورة المرحلة الحاضرة التي تجتازها أمتنا.

أن في هذه المنطقة اليوم مشكلة واحدة لا تخرج في جوهرها عن الإطار العام للمشكلة العربية الواحدة.هذه المشكلة هي مشكلة التقسيمات الهزيلة العديدة في الخليج العربي و جنوبي الجزيرة تلك التي صممها الاستعمار البريطاني و دعمها بقوته لسلب الشعب هناك قوة تماسكه و اندفاعه في وجه أعدائه الذين يغزون ذلك الجزء من الوطن العربي. و قد اثبتت هذه التجزئة في السنوات الماضية عن خطورة كبيرة في إضعاف المقاومة العربية للغزو الأجنبي كما اثبتت أنها خير ركيزة يعتمدها الاستعمار في تثبيت بقائه و امتصاصه لخيرات وطننا.

و هذه المشكلة الواحدة في الخليج العربي و جنوبي الجزيرة هي أيضا مشكلة الاستعمار الذي يقف حجر عثر في وجه كل تقدم و الذي يمتص دماء الأمة و يستولي على نفطها و معادنها و على كل مقدراتها و خيراتها و لا يكتفي بذلك بل يستعمل أراضي هذه المنطقة أيضا كقاعدة عسكرية ضخمة يقيم فيها المطارات و الموانئ في سبيل بناء أحلافه العسكرية لتثبيت أطماعه في الوطن العربي جميعه.

و لا تقف المشكلة في المنطقة عند حد التجزئة و الاستعمار بل تتمثل بالاضافة إلى كل هذا بحكم رجعي مظلم يسود في ظله "حكم العصا" و الجهل و الفقر و تنطمس بواسطته القيم الانسانية البديهية: قيم حرية التكلم و حرية التفكير و

حرية العمل و حرية التطلع إلى الآفاق الرحبة ، كل هذا مطموس في هذه المنطقة في ظل حكم فردي رجعي و في ظل أوضاع اجتماعية قاسية.

و على هذين الأساسين ، وحدة المشكلة و ضرورة وحدة النضال العربي يعلن الشعب العربي في الخليج و جنوبي الجزيرة عن قيام جبهة قومية موحدة تضم جميع الحركات النضالية في المنطقة كخطوة أولى في طريق توحيد النضال العربي كله. و الشعب إذ يعلن ذلك يؤكد مجددا أن هذه الخطوة منبثقة عن إيمانه بأن وحدة النضال العربي هي السبيل المضمون لتحقيق الأهداف العربية.

أن الأهداف التي تناضل الجبهة القومية من أجلها هي أهداف محددة منبثقة عن أماني الأمة العربية و عن طبيعة المشكلة التي تعانيها.

أن هدف الجبهة هو دمج الجنوب العربي و إمارات الخليج في الكيان العربي الواحد و تحرير الشعب العربي في هذه المناطق من الاستعمار و تمكينه من نيل سيادته ، فالجبهة تؤمن بأن نضالها ضد الاستعمار يسير جنبا إلى جنب مع نضالها في سبيل تحقيق الوحدة. فالنضال من أجل تحقيق الوحدة هو النضال الأصيل من أجل طرد الاستعمار.

و تهدف الجبهة كذلك إلى النضال كي يمثل الشعب في الحكم تمثيلا صادقا.

هذه هي الأهداف التي تناضل الجبهة من أجل تحقيقها و سيكون أسلوبها في تحقيق هذه الأهداف أسلوبا شعبيا يعتمد على وعي الشعب لأهدافه و تكتله حولها ، و على تكتله و تنظيمه في تيار نضالي شعبي واحد.

و الجبهة تؤكد عزمها على التعاون في هذا السبيل مع جميع الهيئات و الأحزاب القومية التي تقوم على أساس الإيمان بالقومية العربية.

و أن الشعب العربي في هذه المناطق يؤكد ، عزمه و تصميمه على السير في هذا السبيل على أن يكون خطوة أولى تتبعها خطوات في سبيل توحيد النضال العربي في جميع أجزاء الوطن الكبير.

و على هذا الأساس العقائدي المؤمن سيمضي الشعب العربي في الخليج و جنوبي الجزيرة في نضاله المتواصل لتحقيق أماني الأمة العربية.

20 صفر 1376 الموافق 1956/9/25

مكتب الخليج العربي و جنوبي الجزيرة (دمشق)

التف الأحرار من أبناء الجزيرة العربية حول تلك الجبهة الوطنية ، و ساهم الأعضاء المنتخبون في مختلف اللجان المنبثقة من مكتب دمشق باداء واجباتهم الوطنية ، وفقا للقرار الصادر يوم 1958/1/3 م عن اجتماع اللجنة التحضيرية في دمشق ، الذي احتوى:

عقدت اللجنة التحضيرية لمكتب الخليج و جنوبي الجزيرة اجتماعا مساء يوم الجمعة الموافق 1958/1/3 في تمام الساعة السابعة و النصف و حضره الآتية أسماؤهم:

عن اليمن: السيد أحمد محمد النعمان

عن جنوبي اليمن: السيد شيخان الحبشي ، السيد محمد سالم باوزير

عن عمان: السيد حسين حيدر درويش ، السيد محمد أمين عبدالله

عن الكويت: السيد سليمان المطوع ، الدكتور أحمد الخطيب

و بعد أن أكد المجتمعون خطة العمل الرئيسية كما وردت في البيان الصادر بتاريخ 56/9/25 بحثت المسائل الآتية:

1- الوضع في اليمن الطبيعية: أكد المجتمعون ضرورة ابراز وحدة هذه المنطقة للجماهير أثناء النضال. كما تم الاتفاق على أن تعمل الرابطة بالسرعة الممكنة لادخال شعارات جديدة تؤكد هذا الاتجاه.

2- مكتب الشام: أحيط المجتمعون علما بأن مكتب الشام الذي اتفق على انشائه قد تم افتتاحه مؤخرا و هو الآن مستعد لاداء مهمته و قد عين الأستاذ حكم دروزه مديرا له. و نظرا لكون هذا المكتب لا توجد فيه عناصر من المنطقة فقد تقرر بأن يقوم بالأشياء التالية فقط:

أ- النشرة الإخبارية: و هي نشرة دورية اسبوعية لتنشر أنباء المنطقة و التعليقات على الحوادث و هذه المعلومات تقدم إلى المكتب من لجنتي الكويت و القاهرة. و يقوم المكتب بتوزيع هذه النشرة على الصحف و المجلات و وكالات الأنباء و أصحاب الرأي و حسب القوائم المقدمة من أجزاء المنطقة.

لجنة القاهرة تتألف من:
الدكتور أحمد الخطيب / الكويت
السيد عبدالرحمن النعمان / اليمن
عبدالعزيز الشيخ علي / البحرين
السيد عبدالله سليمان / عمان
السيد علي عقيل / جنوبي اليمن

و قد اتفق كذلك على أن يعتمد المكتب أشخاصا معينين في الأجزاء المختلفة لإرسال الأخبار المستعجلة للمكتب رأسا و ترسل النسخ منها للجنتي الكويت و القاهرة.

ب- الكتب و الكراسات: يقوم المكتب بطبع الكتب و الكراسات التي تأتيه عن طريق لجنة الكويت و تقوم الأجزاء المختلفة بارسال ما لديها إلى لجنة الكويت لتقرر ما تراه مناسبا بشأن هذه الكتب و الدراسات المقترحة من بقية الأجزاء.

ج- المكتبة: يعمل المكتب بالتعاون مع الأجزاء المختلفة لانشاء مكتبة تهتم بقضايا المنطقة و يحتفظ المكتب بكل ما ينشر عن المنطقة.

د- الدعاية الخارجية: يدرس المكتب امكانية طبع كراسات أو كتب باللغات الأجنبية للدعاية

3- علاقة مكتب الشام بمكاتب الأجزاء: تكون علاقة مكتب الشام ببقية المكاتب الخرى عن طريق لجنتي الكويت و القاهرة فقط.

4- الميزانية: تعتمد الميزانية المقدمة في العام الماضي (بحدود الأربعين ألف ليرة) و تقوم الكويت و قطر بتسديدهما كما يطلب من الأجزاء الأخرى بأن تبذل جهدها في المساهمة.

5- اللجنة المؤقتة: تتألف من مندوبين عن كل منطقة و تجتمع مرتين في السنة.

كان الزميل محمد أمين من أبرز العاملين في هذه الجبهة. فقد وجد "المناخ" ملائما و مناسبا للتعامل مع الأخوة المناضلين في الجبهة ، بخلاف الوضع في مكتب إمامة عمان الذي كان المسؤولون فيه يعتبرونه موظفا ليس إلا.

كانت مسؤوليتي الجديدة و مسؤولية زملائي تتطلب أيضا التنقل بين القاهرة و دمشق باستمرار. و لتسهيل هذه المهمة ، أصدرت القنصلية المصرية العامة في دمشق وثيقة سفر لنا دون الحاجة إلى استعمال جواز سفر.

القنصلية المصرية العامة

دمشق

وثيقة سفر مصرية مؤقتة صالحة لمصر و سوريا ، لمدة ثلاثة أشهر من تاريخه.

القنصل العام

رقم وثيقة سفر مؤقتة رقم 41 لسنة 1957

إسم حامل الجواز : حسين حيدر درويش

ترجو القنصلية المصرية العامة بدمشق من السلطات المصرية السماح لحامله بدخول الأراضي المصرية ، كما ترجو من جميع المختصين أن يسمحوا له بحرية المرور من غير توان مع تذليل كل صعوبة قد تقوم في سبيله ، و أن يقدموا له ما قد يحتاج من مساعدة و رعاية.

دمشق في 1958/1/2

لا شك ان مثل هذا التكتل الشعبي و الاتحاد الوطني بين الأمة العربية قد أقلق الاستعمار و أقضى مضاجع الكثيرين من الحكام العرب الذين ما أن توفى جمال عبدالناصر يوم 28 أيلول/سبتمبر 1970 ، حتى اتجهوا إلى محاربة شعوبهم ، و إيقاف ذلك السيل الوطني الجارف في بلادهم ، خشية من أن يجرف كراسيهم. فكان موقف أولئك الحكام أشبه بوضع الفارس الذي بدلا من أن يطلق عنان فرسه لتصول و تجول في وسط الأعداء و لتكر و تفر في ساحة المعركة ، لجأ إلى شد لجامها خشية من أن يقع من على متنها. لقد أدمى اللجام فم الفرس و شلت حركتها و بذلك أصبحت الساحة العربية مفتوحة أمام الأعداء حيث بلغ الاستهتار باسرائيل بأن تغير على أية بقعة من الأراضي العربية دون أن يسلم منها مقر الفاسطينيين في تونس و بدون أن تلقى مقاومة أو أي رادع ، لا من الفلسطينيين فحسب ، بل و حتى من التونسيين الذين استبيحت أراضيهم و هتكت أجواؤهم. لقد حق عليهم القول "ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا ...".

أنه "وسام" آخر – و ليس الأخير – من "أوسمة" العار و الذل يطوق بها الحكام العرب الموالون لأمريكا و إسرائيل.

أن الشعوب العربية لقادرة على الدفاع عن أراضيها لو اطلقت الأنظمة العربية القيود و الأغلال التي تحيط بأعناق أبنائها. و لكن أنى لها أن تفعل ذلك و هي تعاني من عقدة "الاحتفاظ بالكرسي".

ففي سبيل الاحتفاظ بكراسيهم هان عليهم تسليم الأوطان لأمريكا و لإسرائيل. و في سبيل ذلك ، أبعد المواطن من مسؤوليات وطنه و تسلم الأجنبي زمام الأمور ، و حلت الجيوش الأجنبية المرتزقة محل الجيوش الوطنية ، لا للدفاع عن الوطن بل لمحاربة الوطنيين حفاظا على "الكرسي".

و كما نجح المستعمر في غرس الخوف في نفوس هؤلاء الملأ الذين نصبهم ، فقد نبغ أيضا في استغلال عقدة "الاحتفاظ بالكرسي" التي يعانونها إلى أبشع الدرجات من الاستغلال ، و بأحط السبل من الاهانات. فنجد رئيس الولايات المتحدة الأمريكية يرفض حتى مقابلة الملوك العرب الذين يذهبون إليه خاشعين طائعين ، و نجد الطائرات الأمريكية تعترض الطائرة المصرية في الجو و تنزلها في مطار مالطا ، و نجد "حق الفيتو" الأمريكي في مجلس الأمن تحت خدمة إسرائيل تستعمله ضد أي قرار يعترف بحقوق العرب أو حتى الاعتراف بهم كبشر. و نجد الأموال العربية تتحول إلى أرصدة "مجمدة" في أمريكا لا ينفق منها إلا في صفقات الأسلحة التي ليس الغرض من إستيرادها هو الدفاع عن أراضيها ، و إنما ، بالإضافة إلى انعاش الاقتصاد الغربي ، فهو خير معين لتقوم بواسطته طائرات الأواكس بتزويد إسرائيل بما يدور في كل شبر من الأراضي العربية. و قد بلغ استيراد دول الخليج النصف من مجموع ما تنتجه البلاد الصناعية من أسلحة(*1).

لقد انتهى الأمر بهؤلاء المسؤولين إلى أن ربطوا وجودهم بوجود المستعمر في أقطارهم ، فاشتروا رضا أمريكا و إسرائيل بكراهية و مقت شعوبهم ، كل ذلك في سبيل بقائهم على كراسيهم.

من نفس هذا المنطلق أنشئ مجلس التعاون الخليجي عام 1981 ، و قد كتب حوله الدكتور عبدالله فهد النفيسي (عضو مجلس الأمة الكويتي الذي حله الأمير عام 1986) كتابا قيما ، وضع فيه النقاط فوق الحروف و أراح بذلك الأقلام العربية من كتابة المزيد عن هذا المجلس(*2).

أن جبهة الخليج العربي و جنوبي الجزيرة التي أنشأها الأحرار من أبناء الجزيرة العربية يوم 1956/9/25 ، أثبتت بأن شعب الجزيرة العربية أسرة واحدة قلما يوجد فرد من أبنائها في شرقي شبه الجزيرة أو غربها لا تربطه قرابة دم بشخص آخر في شمالها أو جنوبها.

إن الاستعمار يقترف خطأ مميتا إذا جره الوهم إلى الاعتقاد بأن الجيوش في شبه الجزيرة العربية سوف تقاتل بعضها البعض حرصا على مصلحة المستعمر و أعوانه في المنطقة.

أن القرابة و الأخوة – و فوق كل ذلك – وحدة المصير التي تربط بين أبناء الشعب الواحد في الجزيرة العربية أقوى من مجرد "التعاون" ، و أقوى من "قوات التدخل السريع" ، و من مناورات "النجم الساطع".

إن جبهة الخليج العربي و جنوبي الجزيرة لتجربة فريدة من نوعها للمناضلين من أبناء هذه المنطقة ، فقد أرست جذور الوحدة الشعبية بين المنتمين إليها ، و أدرك الجميع بأن المشاكل التي يعانيها شعب الجزيرة العربية ذات مصدر واحد لا يمكن فصل جذر منها عن بقية الجذور. و قد أثبتت الأحداث فيما بعد صحة ما توصل إليه الأعضاء البارزين في الجبهة المذكورة فما أن ثار الشعب اليمني و انتصر على النظام الفاسد في بلاده ، حتى تحركت القوى المضادة. فلولا تدخل جمال عبدالناصر المباشر لمساندة الثورة اليمنية ، لما استطاعت العناصر الوطنية أن تصمد في وجه الثورة المضادة.

كانت هذه النقاط تطرح على بساط البحث و النقاش بين الأعضاء كلما عقدت الاجتماعات في مقر الجبهة في دمشق ، و كان الزميل محمد أمين يعطيها الكثير من وقته و يمنحها الكثير من أفكاره النيرة مما نال تقديرنا جميعا.

ما أحوجنا اليوم إلى مثل هذا التجمع الشعبي الوطني ، سيما و أنه لم تعد هناك قوى مثل جمال عبدالناصر لمناصرتها. و من المؤسف حقا أنه بدلا من أن يستفيد أبناء هذه المنطقة من تلك التجربة القيمة و يحافظوا على استمراريتها ، نجد أن المسؤولين هم الذين استفادوا منها ، فأقاموا إتحادا مضادا فيما بينهم أطلقوا عليه إسم "مجلس التعاون لدول الخليج". و إذا كان هناك من يستطيع نفي هذه الحقيقة من بين هؤلاء المسؤولين ، فليعلن على الملأ بأن الهدف من

وراء هذا "المجلس" هو وحدة شعوبها ، و بذلك يتحتم عليهم طبعا - كخطوة أولى – تكوين مجالس وطنية إقليمية منتخبة على النهج الديمقراطي الحر ، ثم دمج هذه المجالس كلها في مجلس واحد يمثل أبناء المنطقة كلها.

فهل أنتم فاعلون ؟

(*1) ذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل على صفحة 251 من كتاب "مدافع آية الله":-
"تنتج دول الخليج نصف ا لبترول الذي يستهلكه العالم ، كما أنه أصبح الآن أيضا مستوردا لنصف الأسلحة التي تصدرها البلاد الصناعية".

(*2) إقرأ كتاب "مجلس التعاون الخليجي – الإطار السياسي و الإستراتيجي" للدكتور عبدالله فهد النفيسي.

الفصل الخامس ... "وكالة المخابرات المركزية الأمريكية"

أدرك الاستعمار البريطاني بعد الحرب العالمية الثانية بأنه لا يستطيع وحده التصدي لقوى التحرير في البلدان التي كانت تحت قبضته ، فلجأ إلى "مشاركة" الدول الاستعمارية التي تشاطره المصالح. و من هذا المطلق قام بعدوانه مع حليفيه فرنسا و إسرائيل على مصر عام 1956 م ، و لكن العدوان الثلاثي قد فشل أيضا ، لأن الحليفين اللذين اختارتهما بريطانيا لم يكونا بأقوى منه. لقد سقط "أيدن" في انجلترا بعد عدوانه الفاشل على السويس ، و بسقوطه سقطت المدرسة الاستعمارية القديمة في بريطانيا ، و أعلنت عن قرارها بالانسحاب من شرقي السويس.

كان لا بد للاستعمار البريطاني أن يعيد حساباته بعد مجريات الأمور في العالم. فهو ، إذن ، لم يعد يستطيع ان يقف وحده في وجه القوى التحررية في العالم ، و لم تجده نفعا المشاركة مع حلفاء ضعفاء من امثاله الذين ارعبهم "انذار" الاتحاد السوفيتي الذي أسقط "أيدن" في بريطانيا بعد العدوان الثلاثي على مصر. لذلك كله لجأ الاستعمار البريطاني العجوز إلى "مشاركة" الاستعمار الأمريكي الجديد من أجل أن يحتفظ – و لو بالقليل – من دماء الشعوب التي امتصها مئات السنين و التي لا يمكنه أن يعيش بدونها. و بما أن الشريك الجديد – الاستعمار الأمريكي – أقوى منه كثيرا ن فمن الطبيعي أن يحتفظ القوي لنفسه بحصة الأسد ، و اكتفى الاستعمار البريطاني ببقايا الفضلات التي يخلفها الاستعمار الأمريكي ، و لم تقف الأمور عند هذا الحد ، بل سرعان ما أدرك المستعمر الأمريكي مدى اعتماد هذا المستعمر العجوز على الفضلات التي يخلفها له ، فقادته أطماعه إلى تحويل بريطانيا إلى مستعمرة له يقيم عليها قواعده النووية و يطلق منها صواريخه و طائراته متى ما شاء.

هكذا تجد الاستعمار البريطاني العجوز يعيش اليوم – بدعم من أمريكا – و بما تجود به أمريكا من الأموال العربية مثل صفقة طائرات التورنادو التي وقعتها بريطانيا مع السعودية ، و التي يقدر ثمنها بنحو أربعة مليارات من الجنيهات الاسترلينية ، و غيرها من صفقات الأسلحة مع الدول الخليجية الأخرى ، كما تعيش أيضا على دخل بعض الدول الأفريقية التي تضمن لها أمريكا امتصاص دمائها مثل النفط من نيجيريا ، و المعادن الثمينة من جنوب أفريقيا التي فرضت عليها سياسة التفرقة العنصرية ... إلخ.

أعد "الوريث" الجديد – الاستعمار الأمريكي – نفسه ليستلم زمام الأمور من المستعمر البريطاني العجوز في المناطق التي كانت تحت قبضته ، فبدأ الاستعمار الأمريكي بمؤامراته و نشاطاته في كل المناطق ، و لم تسقط من حسابه عمان ، لما لها من أهمية إستراتيجية بالغة الخطورة و ثروات لم يكتشف إلا الجزء اليسير منها حتى ذلك الحين. و قد جلب انتباه المناضلين من أبناء عمان تلك الحركات المريبة ، و أشار إليها الزميل حمدان عبدالله في رسالته بتاريخ 20-2-1968 ، أن الاستعمار الأمريكي لم يأت إلى عالمنا حاملا الجزرة بيد ، و العصا باليد الأخرى – كما فعل المستعمر العجوز من قبله – و إنما جاء حاملا القنابل الذرية و النووية بيديه اللإثنتين و افتتح مسيرته الرهيبة بالقائه القنبلة الذرية على الناس الآمنين و الأطفال الأبرياء من سكان مدينتي هيروشيما و ناكازاكي ، ثم مضى في "ابتكاره" أساليب مروعة لممارسة نشاطاته الارهابية من مؤامرات محاكة إلى انقلابات مدبرة ضد مصدق في إيران ، و ضد سوكارنو في أندونيسيا ، و ضد نكروما في غانا ، و ضد الدكتور الليندي في شيلي ... إلخ ، و لم تنجح من مكايده أية بقعة من الكرة الأرضية بحيث يستعصي على المرء حصرها أو عدها.

لقد أطل على العالم جهاز فتاك أطلق عليه "وكالة المخابرات المركزية" و هذا الجهاز بمثابة وباء منيت به البشرية حتى كان من ضحاياها – على حد اعتراف الكولونيل جون ستوكويل ، الرئيس السابق لأحد مراكز المخابرات المركزية الأمريكية – أكثر من ثلاثة ملايين شخص في القارة الأفريقية وحدها(*1).

و إذا أضفنا عدد ضحايا هذا الجهاز في آسيا و أمريكا الجنوبية و بقية القارات ، فإن العدد – و لا شك – سوف يتجاوز عدد الوفيات ممن فتكت بهم الأمراض المستعصية كالكوليرا و الطاعون و السرطان. أليس معنى هذا أن هذا الجهاز يعتبر أكثر فتكا و أكبر خطرا على البشرية من هذه الأمراض المستعصية ؟

أن خطورته لا تكمن في نشاطاته وحده فحسب ، بل تتعداها لتشمل جميع الدول التابعة له ، فقد أوعز إلى "حلفائه" بأن ينهجوا نفس السبيل ، و أن ينصبوا تحت رعايته و ارشاداته أجهزة مخابرات بأسماء مختلفة مثل "السافاك" في إيران خلال حكم الشاه و "الموساد" في إسرائيل.

و قد تجاوزهذا النشاط المحلي ليشمل أيضا دول عديدة تربطها اتفاقيات موحدة تحت أسماء غريبة و عجيبة مثل "نادي السفاري" الذي ضم خمس دول أبرمت فيما بينها إتفاقية سرية بهذا الخصوص ، وقع الاتفاقية هذه الشيخ كمال أدهم – مدير المخابرات السعودية – نيابة عن السعودية ، و الجنرال نصيري – رئيس "السافاك" عن إيران ، و رئيس المخابرات المصرية – في عهد السادات ، و أحمد الدليمي – رئيس المخابرات المغربية – نيابة عن المغرب ، و الكونت دي مارنش نيابة عن فرنسا.

و قد وجدت نسخة من هذا الاتفاق في أرشيف "السافاك" بعد قيام الثورة الإيرانية (1).

لقد كتب الأستاذ محمد حسنين هيكل حول أعضاء هذا النادي فقال: "و من الجوانب المدهشة لهذا النادي أن كل أعضائه كانوا يتظاهرون باخفاء نشاطهم عن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، إلا أنهم كلهم ، في واقع الأمر ، كانوا يقدمون تقارير موجزة لها عما يحدث ، و الأدهى من ذلك أن الجنرال نصيري اعترف فيما بعد أنه لم يكن يخبر الأمريكيين فحسب ، بل كان يخبر الإسرائيليين أيضا" (2).

إن إتفاقيات مثل هذه لا تشمل تبادل المعلومات و حياكة المؤامرات فحسب ، بل تشمل أيضا تبادل "الخبرات" في استعمال الوسائل و الأدوات التعذيبية التي يبتكرها كل جهاز مخابرات تابع للجهاز الأم – وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

و قد سرد الأستاذ محمد حسنين هيكل ما شاهده في وزارة الخارجية الإيرانية في فيلم أعدته السافاك في سبل تعذيب الفتيات ، أرسلت نسخة من الفيلم لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية التي طبعت منه عدة نسخ وزعتها على بلاد صديقة مثل: الصين الوطنية و الفيليبين و أندونيسيا ، و ذلك كجزء من المساعدة الفنية التي تقدمها لأصدقائها (3).

(*1) جاء اعتراف الكولونيل جون ستوكويل في مجلة "نيو أفريكان" التي تتخذ من لندن مقرا لها. و قد نشرته أيضا جريدة "الخليج" الصادرة من الشارقة يوم 6 كانون الأول (ديسيمبر) عام 1985 م ، في عددها 2423 الصفحة رقم (18).

(1) انظر صفحة 151 من كتاب "مدافع آية الله" للأستاذ محمد حسنين هيكل.

(2) أنظر نفس المرجع صفحة 154.

(3) أنظر نفس المرجع صفحة 162.

لقد أثبتت الأحداث بأن جمال عبدالناصر هو أيضا ممن ذهب ضحية مؤامرات و كالة المخابرات المركزية الأمريكية ، فقد وردته مذكرة من سكرتيره السيد سامي شرف تحرير 3 حزيران/يونيو 1970 ، يشعره فيها عن مؤامرة خسيسة حاكتها و أعدتها وكالة المخابرات الأمريكية للإطاحة بالنظام الثوري في مصر خلال عام 1970 و قد عقب جمال عبدالناصر بخط يده على تلك المذكرة مؤكدا صحة النبأ من دون أن يعلم بأن حياته هي المقصودة من تلك المؤامرة الرهيبة (4).

و من المضحك حقا بأن الولايات المتحدة الأمريكية تستنكر الأرهاب في العالم. و لعل هذا اللاستنكار ليس لبل منها ، و إنما في الحقيقة رغبة ملحة منها لتحتكره لنفسها فقط دون سواه.

إن العالم يعاني اليوم من خطر لم تشهده البشرية منذ بدء الخليقة ، فقد دنست وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية كل المثل الإنسانية و القيم الأخلاقية. و لم تنج من ويلاتها الأديان السماوية ، فقد قرعت أبواب الصوامع و الكنائس و المساجد ، ة تطاولت أيديها الأثيمة إلى داخلها لتعبث بمقداساتها ، و لم تكتف عند هذا الحد فحسب بل زجت أعوانها – بعد أن كستهم ملابس الرهبان و رجال الدين – في صفوف الكهنة و الرهبان.

و قضت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية – أو كاجت أن تقضي – على المصلحين في العالم ، و أزاحت عن طريقها السياسيين الوطنيين ، و سلطت أعوانها على رقاب العباد في منطاق نفوذها.

لقد أخمدت أصوات المصلحين ، و كسرت أقلام الكتاب و المفكرين ، و لم يعد أمام الانسان المضطهد سوى حمل البندقية و مجابهة القوة بالقوة ، و الإرهاب بالإرهاب ... و ما هذه القرصنة و حوادث الاختطاف التي يشهدها عالمنا اليوم إلا ردود فعل على ما بدأته – و لا زالت تمارسه – وكالة المخابرات المركزية الأمريكية من أعمال ضد البشرية ، فقديما قال الشاعر:

بسفك الدما يا جارتا تحقن الدما *** و بالنفس تنجو كل نفس من القتل

(4) أنظر: صورة من المذكرة منشورة تحت رقم 28 من كتاب "بين الصحافة و السياسة" للأستاذ محمد حسنين هيكل.

الفصل السادس ... "على ضفاف النيل"

انتكست الرايات العربية يوم وفاة جمال عبدالناصر في 28 أيلول/سبتمبر 1970 م ، فإذا بالقائد يسقط في وسط الميدان ، و تدب الفوضى بين صفوف الجماهير العربية و تتعبثر يمينا و شمالا كالقطيع الذي لا راعي له.ان أول من نعى

جمال عبدالناصر في المذياع هو أونر السادات . و هو أول من نسف مبادئ عبدالناصر ، و أكثر من ذرف الدفع وراء نعش جمال عبدالناصر – كما شاهدته الجماهير العربية على شاشات التلفزيون – كان جعفر النميري ن و هو أول من أيد زيارة السادات لإسرائيل و بارك إتفاقية "كامب ديفيد" ، و انتهى به المطاف في آخر الأمر إلى تهريب اليهود "الفلاشا" إلى إسرائيل. ان من أخطاء جمال عبدالناصر الجسيمة هو عدم تطبيقه الهج الديمقراطي خلال الثمانية عشر عاما من حكمه ، فلو أنه أرسى جذور الديمقراطية خلال توليه زمام السلطة في مصر ، لما آلت مصر إلى الحالة المؤلمة التي وصلت إليها بعد وفاته. و قد كان من الأجدر به لة اتخذ من الانقلاب ضد سوكارنو في أندونيسيا ، و الانقلاب ضد نكروما في غانا عبرة له. فقد شاهد بنفسه ما يكفي الاعتقاد به و التأكد منه بأن حكم الفرد الواحد لا يدوم مهما كان صالحا. و إذا كان البعض يعتقد أن الشعب قد يسئ اختيار ممثلين له في المرة الأولى ، فإنه سوف يستفيد من أخطائه في المرة الثانية باختيار الأفضل و الأصلح لوطنه ، لو طبق المسؤول النهج الديمقراطي يستطيع ابدالهم بنفس الأسلوب الديمقراطي يستطيع ابدالهم بنفس الأسلوب الديمقراطي ، و لا شك ان هذه الطريقة المثلى أفضل بكثير من تعيين جمال عبدالناصر نائبا له (السادات) من دون أن يستطيع الشعب إزاحته مما اضطر خالد الاسلامبولي إلى اللجوء للرصاصات لاسقاطه.

زرت القاهرة خلال الأسبوع الأخير من شهر حزيران/يونيو 1972 ، و ما ان وطأت قدماي أرض المطار حتى وجدتكل شيء فيه تغير. كان الزميل محمد أمين في انتظاري ، فصعدنا السيارة معا ، فتخيل لي بأن كل شبر من القاهرة يبكي و يرثي جمال عبدالناصر. لم يعد ذلم الحماس الوطني. و لا الهيجان الثوري و لا الشعور القومي الذي كنت أشعر به في زياراتي السابقة امصر.

التفت إلى محمد أمين سائلا: "هل نحن حقا في القاهرة ؟" و قد فهم ما قصدته ، فأجابني: "انتظر ، فسوف ترى الكثير مما سيخيب أملك".

كان محمد أمين هو الآخر ممن صدمتهم الأحداث ، و أثرت أثرا بالغا على نفسيته. و قد جمد نشاطه في مصر آثر البقاء فيها دون أن يدري إلى أين سيتجه. زرت بصحبته ذات يوم أحد الصحفيين اللامعين في مصر ، و تطرق بنا الحديث حول موضوع الساعة ، و كان الصحفي المصري يصف لنا تلك السحب السوداء التي تخيم على الوطن العربي. و لأول مرة أدركت مدى مصداقية القول بأن مصر هي قلب العروبة النابض ، فكل انتكاسة شاهدتها في منطقة الخليج و غيرها من الأقطار العربية التي زرتها بعد وفاة جمال عبدالناصر ، ما هي في الحقيقة إلا انعكاس لما يحدث في مصر.

سألت الصحفي عن المعركة القادمة التي أعدها جمال عبدالناصر ، فقال لي أن "الجيش في حالة غليان و لا يمكن كبح جماحه ، فالمعركة آتية و لكن بدون بطل" ، ثم تمتم بالمثل القائل "مكره أخاك لا بطل". و قد تأكدت توقعات هذا الصحفي اللامع ، و خاض الجيش المصري معركة تشرين الأول/ أكتوبر 1973 ، التي سرد تفاصيلها و كشف خباياها الشاذلي في كتابه "معركة أكتوبر".

كانت كل تلك الاحاديث و الاجتماعات تبعث الحزن و الأسى في النفوس ، فعدت إلى فندقي ، و قررت مغادرة القاهرة في اليوم التالي ، لم أجد أولئك الذين كنت أستأنس بزيارتي لهم في "منشية البكري" فإن أعوان جمال عبدالناصر الذين كانوا كالصقور تهابهم الطيور لا في مصر فحسب ، بل و في سماء الأقطار العربية كلها ، قد غصت السجون ببعضهم ، و مسخ البعض الآخر إلى "خفافيش" يخشون النور و لا يظهرون إلا في الظلام.

كان الزميل محمد أمين و أنا خلال زيارتي القصيرة للقاهرة نجوب الشوارع كالتائهين دون أن تكون لنا وجهة نتجه إليها. و كان الصمت و الوجوم في الكثير من الأحيان يخيم علينا. و قد قادتنا أقدامنا ذات يوم إلى مقهى "قصر النيل" حيث كنا نجتمع فيه سابقا. راح كل منا يسرح في أفكاره و تخيلاته ، و قد استطردنا الماضي ، و كان النيل الذي يجري أمامي بمثابة شريط سينمائي أعاد إلى ذاكرتي ما بدأناه، لا شك أن الزميل محمد أمين هو الآخر كان يسبح بذاكرته في نفس القارب ، فقد كانت أفكارنا دوما تجري في نفس الاتجاه دون أن يعبر عنها أحدنا للآخر. و بعد هدوء و صمت طويل ، انطلقت من بين شفتي _ بصورة لا إرادية – كلمة واحدة "يا للأسف". هنا قطع الزميل محمد أمين صمته ليؤكد لي بأنه كان يشاطرني الرؤيا ، و قد فهم ما كنت أقصده. "لا تأسف و تذكر دوما بأننا لو لم نشغل أنفسنا

بتلك الأعمال الوطنية النبيلة لكنا قضينا العمر – أسوة بغيرنا – بين الحانات و بصحبة الغانيات". كانت عبارة محمد أمين خير سلوة لي ، فقد كان كالبلسم للجروح ، و الدواء للعليل ، فشعرت و كأن الروح قد دبت في جسمي من جديد.

لم تفاجيء ، هذه الأحداث الزميل محمد أمين ، فقد استطاع بنظرة الثاقب أن يراها منذ نهاية 1959 ، و هذه رسالته بتاريخ 1959/12/31 تشهد على بعد نظره:

فندق بالم بيتش

بيروت

ليلة رأس السنة 31 / 12 / 1959

أخي الوفي ،

أهديك أطيب التحايا ، من نفس المكان و في نفس الزمان الذي اجتمعنا فيه العام الماضي أكتب إليك هذه الرسالة و في ذهني تطوف ذكريات حبيبة و أن أروع و أجمل ما في الحياة هو أن يستذكر الانسان ذكريات حبيبة بأناس تربطه بهم روابط إنسانية نبيلة و ما ألذ مثل هذه اللحظات و أكثرها تعميقا لأروع ما في الحياة ، أجل كنا هنا في العام الماضي و في نفس الحجرة و الدور ، أن للظروف قدرة عجيبة أحيانا في توقيت الأحداث.

كتبت إليك من الكويت قبل عودتي و لولا أنك رددت تقول أنك ستراني قريبا حيثما أكون لشعرت بالخيبة و الأسى. و ها أنا أتطلع بشوق عنيف إلى لقياك. ستسمع مني أشياء كثيرة ستذهلك.

إن حركتنا الوطنية تبدو جامدة و الاستعمار و الرجعية يخنقان كل نسمة باقية من شعبنا و نحن مدعون إلى العمل. إني أقدر ظروفك حق التقدير و اؤمن أنك تؤدي دورك كاملا و لكنه لا ينبغي أن تكتفي بهذا. إن الجماعة الذين نتعاون معهم يتصرفون تصرفا يثير المخاوف و أنت تعرفني و أنا أعرفك كم نحن حريصان على أن لا تترك ثغرة في صفوفنا. سلامي إليك و قبلاتي للصغير و تحياتي لأمه الكريمة.

من هنا الأهل.

و إلى اللقاء قريبا ،

المخلص

أمين

"إن الجماعة الذين نتعاون معهم يتصرفون تصرفا يثير المخاوف". إن الصورة التي سردها الزميل محمد أمين في رسالته بتاريخ 31 / 12 / 1959 ، لم تختلف إطلاقا عن الصورة القائمة التي كنا ننظر إليها عبر سطح النيل في تموز / يوليو 1972، حتى شعوره الأخوي و عواطفه الشخصية لم تغيرها تلك الأحداث ، فقد كر ما كتبه في رسالته قبل إثني عشر عاما ، قائلا: "أروع و أجمل ما في الحياة هو أن يستذكر الإنسان ذكريات حبيبة بأناس تربطه بهم روابط إنسانية نبيلة ... ".

كان اجتماعنا في تلك الأمسية على ضفاف النيل مزيدا من الأفكار المتلاطمة. شعر خلالها بالأسى و بخيبة الأمل و الكراهية للنيل الذي يجري ببطء ممل ، و شعرت بالارتياح من كلمات الزميل محمد أمين و عباراته العاطفية و شعرت بالحب إلى النيل إذ أن جريانه لم يتوقف و ماءه لم يركد.

عاد الزميل محمد أمين إلى وطنه عام 1974 م ، و كنا قد سبقناه بالعودة الزميلين أحمد محمد الجمالي و حمدان عبدالله و أنا ، و كنا ندرك مع بعض زملائنا بأن لا بد لنا من تحمل "الضريبة" على ما قمنا به من أعمال وطنية قبل العودة ... إن رسالة طارق بن تيمور الموجهة لي بتأريخ 8 / 5 / 1969 ، قبل توليه رئاسة الوزارة ، و المنشورة في الفصل الثالث من هذا الكتاب تكشف للقارئ بوضوح سياسة حكومته المقبلة بشأننا. فقد كتب بهذا الخصوص: "لو صحت ذاكرتي فأنك كنت تفكر دوما بالعودة للوطن لو أعطيت ضمانات بسلامتك و حريتك. فإذا كانت هذه الاقتراحات تبدو لك حقيقة فلم لا تغتنم الفرصة ؟".

أدركنا – زملائي و أنا – من عبارات تلك الرسالة ، بأننا سوف نلاقي معاملة "خاصة" عند عودتنا للوطن بعد تشكيل الحكومة الجديدة فيها. و ما كانت رسالتي لطارق حول ذلك الموضوع سوى "مراوغة سياسية" لكشف ما تنطوي عليه سياسة الحكومة الجديدة تجاهنا في المستبقل. و قد اتضحت لنا الرؤيا عند استلامي الرد ، و ضمنا – على الأقل – نيل ضمانات السلامة و الحرية التي نصحني طارق – في رسالته المذكورة – بأغتنامها عندما ستعرض علينا.

لقد تحققت نبوءتنا حال عودتنا للوطن ، بعد تولي طارق بن تيمور رئاسة الوزارة فيها ، فبالرغم من أن الضمانات بالسلامة و الحرية قد شملتنا أيضا أسوة مع غيرنا من المواطنين الذين عادوا ، غير أن المناصب الحكومية التي عرضت علينا ، و التي اضطر بعضنا بتقبلها – و للأسف – أدنى من مؤهلاته الشخصية ، حيث بدا الأمر كان مقصودا لإذلاله.

فقد عين الزميل أحمد محمد الجمالي في عام 1971 ، مديرا لوزارة التربية و التعليم ، ثم نقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية كسكرتير أول في وفد عمان لدى الأمم المتحدة من عام 1972 إلى عام 1975. ثم عين سفيرا لعمان في الأردن و منها في إيطاليا و أخيرا أستغني عن خدماته في تشرين الثاني/نوفمبر 1981 ، و أحيل للتقاعد ، و أركن في منزله مجمد الفكر و النشاط مع العلم أن بعض الذين يشغلون مناصب وزارية اليوم ، في الحكومة الراهنة هم أكبر منه سنا.

و عين الزميل حمدان عبدالله مديرا للبريد ، فما كان له إلا أن يقبل هذا المنصب على مضض. غير أنه لم يستطع أن "يهضم" الإهانات التي انهالت عليه من رؤسائه ، و لم يستطع أن يصمد أمام "حرب الأعصاب" فانهار صحيا بإنفجار في الدماغ ، مما سبب له الشلل و توفى على أثره في عام 1978.

أما الزميل محمد أمين عبدالله ، فعين موظفا في وزارة الإعلام ، قسم المطبوعات و النشر ، و بحكم وظيفته ظل يتردد على القاهرة ، و بما أنه كان يفضل التغيب عن الوزارة بقدر الإمكان ، لذا فقد كان يخلق الأعذار ليطيل اقامته في القاهرة و يختصر زيارته لعمان.

و في كل مرة كان يأتي فيها إلى عمان ، كنا نجتمع في مكتبي التجاري المتواضع ، و قد كانت اجتماعاتنا هذه – الزميلين محمد أمين ، و حمدان عبدالله و أنا – تختلف كلية عن اجتماعاتنا السابقة ، إذ لم يعد ذلك الجو المرح يسوده ، و لا سرور اللقاء يغمره. فقد اختفت تلك البهجة ، و اختفت معها ضحكات "و قهقهات" الزميل حمدان عبدالله التي كان صداها عادة يدوي إلى مسافات بعيدة ، و تلاشت أيضا "النكات" السياسية التي كان الزميل محمد أمين مولعا بصياغتها في "قوالب" تهكمية ، و كأن مصور كاريكاتير يصف لنا "الشخصيات" السياسية في صور تضحك المستمع. كل ذلك اختفى و اصبحت اجتماعاتنا – نحن الثلاثة – في ذلك المكتب الضيق كئيبة حزينة ، و بعد أن فقدنا زميلنا حمدان عبدالله عام 1978 ، ازدادت تلك اللقاءات كآبة و حزنا ، و اقتصر اللقاء بيننا نحن الأثنين فقط ، لقد كانت سلواي الوحيدة في عمان هي لقائي بالزميل محمد أمين فيها كلما عاد إليها من القاهرة.

و بما أنني – منذ عودتي للوطن – لم استقر فيه بصفة دائمة ، و قررت الاحتفاظ بأعمالي التجارية القائمة في دبي ، لذا فكثيرا ما كان يتصل بي عند تواجده في عمان لأتجه إلى مسقط للقائه.

كثيرا ما كان الحزن يحز في نفسي و أنا أستطرد هذا الكادر الوطني الذي كان من الممكن أن يفيد الوطن بمعرفته و خيراته لو اتيحت له الغرص و "المناخ" الصالح. لقد ادركت أن من الأسباب الرئيسية لتخلف الأمة العربية من محيطها إلى خليجها ، هي عدم الاستفادة من هذه الثروة الفكرية القيمة التي يختزنها بعض أبنائها ، و التي أما أن تذهب مه هبات الرياح ، و أما أن تستغلها دول أجنبية تستفيد من ها في تطورها. و من المأسف حقا أن نجد أن الانتقادات البناءة في الدول المتقدمة تلقى ترحيبا و آذانا صاغية ، في حين أن الذي ينادي بالاصلاح في عالمنا العربي يلقى الاضطهاد و التعذيب في السجون.

لقد نجحت المخابرات الأجنبية في ايهام المسئولين في الوطن العربي ، بأن الوطنيين المصلحين يطمعون في انتزاع السلطة منهم ، و بذلك أوجدت عداء مريرا بين المسئولين و شعوبهم ، حيث لم يعد بالامكان اعادة الثقة بينهما ، و لم يستفد من هذا الوضع الشاذ سوى الأجنبي الذي يجني ثمرته كل يوم ، فهو يساوم المسؤول ببيعه أسلحة تقدر بمليارات الدولارات مقابل ابقائه في السلطة ، أو اختطاف بعض الأراضي من وطنه لاقامة قواعد عليها ، مقابل مساندته و تثبيته في الحكم ... إلخ. هكذا ضاعت سيناء و طابا و قبلهما القدس ، و سوف يضيع كل الوطن العربي إذا لاقى أبناؤه الأحرار نفس مصير خالد الاسلامبولي و سليمان خاطر ... إلخ.

أما أنا فقد عرض علي أيضا منصبا صغيرا لإذلالي ، أسوة بزملائي ، فقد بعث إلي طارق بن تيمور ، بعد توليه رئاسة الوزارة في عمان ، بالرسالة التالية تحرير 27 / 12 / 1970:

رئيس الوزراء
سلطنة عمان

التاريخ 27 / 12 / 1970

حضرة الأجل الأكرم الأستاذ حسين حيدر درويش .... المحترم

تحية طيبة ،

و بعد ، فقد تفضل جلالة السلطان قابوس بن سعيد بالاشارة إلى تعيينك مديرا للتجارة بوزارة الاقتصاد ، لذلك نرجو افادتنا عن استعدادكم لقبول هذا المنصب.

تقبلوا فائق تحياتنا.

طارق بن تيمور

رئيس الوزراء

و قد اعتذرت عن قبول هذا المنصب و اجبته في اليوم التالي بردي الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الفاضل معالي رئيس الوزراء لسلطنة عمان ... المحترم

تحية و احتراما.

بالاشارة إلى رسالة معاليكم تحرير 27 / 12 / 70 فإني أود أن أعبر عن شكري الجزيل لجلالة السلطان المعظم و لمعاليكم على ترشيحكم لي مديرا للتجارة بوزارة الاقتصاد.

و إني إذ أعتذر عن تولي عن تولي هذا المنصب و أود ان أؤكد لمعاليكم عن استعدادي الكامل لخدمة وطني العزيز و يسعدني دوما تقديم خدماتي في جميع المجالات بدون مقابلز

و ختاما تفضلوا بقبول فائق احترامي.

تحريرا في 29 شوال سنة 1390
الموافق 28 / 12 / 1970

المخلص

حسين حيدر درويش

و من الجدير بالذكر بأن تلك "المناورة السياسية" اقتضت بأن يظل منصب وزير التجارة و الاقتصاد شاغرا حتى يوم كتابة تلك الرسالة. فمن الواضح جدا بان المقصود من وراء ذلك – كما صرح لي طارق بنفسه – هو التلميح لي لتولي منصب وزير التجارة و الاقتصاد بعد فترة من قبولي منصب المدير. و قد كان طارق يعرف جيدا بأن الطريقة المتبعة في العالم الكله هو تعيين الوزير ثم وكيل الوزارة قبل تعيين المدير. و قد طبق هو بنفسه هذه الطريقة الصحيحة في توزيع الحقائب الوزارية ، و استثنى منها هذه الوزارة بالذات.

و لما باءت هذه "المناورة السياسية" بالفشل ، اعقبتها مناورة أخرى ، كان موقفي منها هذه المرة مختلفا و مفاجئا لحكومته. فقد عرضت علي وزارة الخارجية العمانية منصب السفير لجميع الدول الخليجية ، و كانت الوزارة تتوقع أن أعتذر أيضا عن قبول هذا المنصب – و لكني – و لأسباب يمكن كشفها إذا حان الأوان – فاجأت وزارة الخارجية العمانية بقبولي المنصب ، عندئذ – و لكي لا يتحقق هذا الأمر – أبدت دولة خليجية واحده رفضها لقبولي ن عندما عرضت وزارة الخارجية العمانية ترشيحي إليها.

يتبع ... "مناضل من عمان ... محمد أمين عبدالله (1915-1982)"
الفصل الثامن ... "اللقاء الأخير"

استمرت تلك الاجتماعات المتقطعة بين فترة و أخرى بيني و بين الزميل محمد أمين في الوطن كلما تواجدنا فيه. و في كل مرة كنت ألتقي به كنت أحس بآثار اليأس قد طغت بانعكاساتها على نفسيته.

و في بداية عام 1982 م ، تلقيت مكالمة هاتفية و أنا في دبي. لم تكن هذه المرة من الزميل محمد أمين ، و إنما من صديق تربطني و تربطه بالزميل محمد أمين علاقات أخوية متينة. قال لي بأن محمد أمين قد نقل من القاهرة و هو بحالة صحية سيئة جدا و أدخل حالا في أحدى المستشفيات في مسقط.

توجهت إلى مسقك في اليوم نفسه و سارعت من المطار إلى المستشفى. دخلت حجرته فوجدته متكئا على سريره. استقبلني بابتسامة انتزعها انتزاعا ، لم يقو على التحدث ، فقد كانت الكلمات تنبثق بتكلف من بين شفتيه. تحدثت إليه محاولا تخفيف وطأة المرض و الآلام التي كان يعانيها ، لكنه ظل صاغيا و سارحا ، فكأنه أراد أن يشعرني بصمته الرهيب ذاك بأن مرضه أخطر و أفتك مما كنت أتصوره.

في صباح اليوم التالي ذهبت إلى المستشفى لزيارته ، فما أن اقتربت من حجرته حتى وجدت أمام بابها الزميل أحمد محمد الجمالي ، يبادرني بالقول بأن محمد أمين قد ساءت صحته فجر ذلك اليوم و أنه في حالة احتضار.

أسرعت إلى داخل حجرته فوجدته مسجى على السرير و هو يحتضر ... مكثنا بقربه – زوجته و الزميل أحمد الجمالي – حتى فارقت روحه الحياة ظهر يوم 18 / 1 / 1982.

مشيت خلف نعشه مساء ذلك اليوم ، و في كل خطوة خطوتها كانت صفحة من تاريخ حياته تعود إلى ذاكرتي. و لم يكن عدد المشيعين يتجاوز البضعة عشر فردا. و قد كنت أتوقع أن أجد جماهير غفيرة تمشي وراء نعش هذا المناضل الذي وهب حياته من أجلهم.

و بينما كنت أمشي و راء النعش بخطى حزينة بطيئة و إذا بيد تضغط على كتفي برفق ، إلتفت إلى جانبي ، فاذا الزميل أحمد محمد الجمالي و هو يهمس في أذني بصوت حزين "بقينا نحن الإثنين ، أنت و أنا".

أوصلنا النعش إلى اللحد ، و بعد أن وارينا الجثمان التراب ، رفعت رأسي إلى الجبال الصماء التي كانت تحيط بقبره متخيلا و كأن الجماهير التي ضحى محمد أمين من أجلها قد تسلقت على قممها منادية بأعلى صوتها: مات محمد أمين ، مات محمد أمين ، مات محمد أمين ...

هذه قبور المناضلين الأحرار تملأ الأراضي العربية ، تحييكم و تناشدكم. هذا قبر جمال عبدالناصر ، و قبر محمد أمين ، و قبر حمدان عبدالله ، و قبر عبدالرحمن الباكر ، و قبر خالد الاسلامبولي و قبر سليمان خاطر ، و عشرات الألوف ، بل و مئات الألوف من أمثالهم ... منهم من اغتالتهم أيدي "الموساد" و أيدي المخابرات المركزية الأمريكية و أعوانها و عملائها ، و منهم من دخل السجون العربية و خرج منها جثة هامدة ... إلخ ... كلها تتطلع إليكم ، فقد ضحت بحياتها من أجلكم و في سبيل حريتكم و كرامتكم ، فانظروا ، ماذا أنتم فاعلون ؟

انتهي